بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ٨

صدى هجتبى

صدى هجتبى
السنة ٨

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى المجتبى عليه السلام

النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة - قسم الشُّؤون الفكرية والثَّقافية.

الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع - وحدة الإصدارات.

التَّصميم: حسين شمران - ميثم القرعاوي.

الطَّبعة: الأولى.

عدد النُّسخ: ١٠٠٠

شهر رمضان المبارك: ١٤٣٦هـ.

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة.

المحتويات

كيف كان الصّلح الحسني ممهّداً للنهضة الحسينيّة؟ ١١

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بين محنتين ١٥

لماذا تنسِب الشّيعة الحسن والحسين وأبناءهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ٢١

جلوس في الطرقات ٣١

الإمام الحسن عليه السلام في مجتمع المسلمين ٣٧

الحسن والحسين عليهما السلام إمامان قاما أو قعدا ٤٥

الأفضلية في الشّجاعة ٥٥

الصِبا والإمامة ٦٣

بين عصر الإمام الحسن عليه السلام وعصر الغيبة الكبرى قراءة في أوجه التّشابه والاختلاف ... ٧٣

الطّرق التّعليمية وأساليبها عند الإمام الحسن عليه السلام ٨٥

قراءات في وادي السّنا ١٠٣

زِيارةُ الإمام الحَسَنِ المجتبى عليه السلام ١٠٦

في البدء

الإمام أبو محمّد الحسن الزّكي، سبط الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أوّل مولود ولد في الإسلام لأهل البيت -عليهم السلام-، جدّه رسول الله، وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأُمه فاطمة الزّهراء-صلوات الله عليهم أجمعين-، وهو أوّل فرع للدّوحة الهاشميّة النّبويّة، والشّجرة العلويّة.

ولد في النّصف من شهر رمضان المبارك من السّنة الثّالثة للهجرة النّبويّة، قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- فيه وفي أخيه أحاديث كثيرة.

ويكفيهما فخراً أنّهما طاهران مطهّران بحكم آية التّطهير التي نزلت في جدّهما رسول الله، وأبيهما أمير المؤمنين، وأُمّهما فاطمة الزّهراء، وفيهما، -صلوات الله وسلامه عليهم-.

عُرِفَ الإمام الحسن -عليه السلام- بجوده وكَرَمه، وسماحته وسخائه، كما اشتهر بحلمه وصبره، وكذلك بفصاحته وبلاغته، ظاهر ذلك في محاوراته مع أعدائه، وكذلك بزهده، وورعه، وعبادته.

لكن الإمام الحسن -عليه السلام- ابتلي بأدهى طغاة زمانه معاوية، الذي تجسّد فيه عداء بني أُميّة السّافر وحقدهم الدّفين على بني هاشم، الممتدّ والمتأصّل منذ القِدَم على بني هاشم وعبد المطّلب-عليهما السلام- من عبد شمس، وأُميّة، وصخر.

لكن الإمام الحسن -عليه السلام- ما كان غافلاً عن خطط بني أُميّة وأهدافهم الخبيثة التي ترمي إلى قلع جذور الإسلام من أساسه عن طريق محاربة أهل البيت وإزاحتهم، لا سيما أئمّة الهدى -عليهم السلام- ليخلو لهم الجوّ في العبث بمقدّرات شريعة السّماء.

وما نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- وتضحياته الهائلة في التّصميم على الوقوف بوجه الظّلم والظّالمين وتقديم أعزّ أولاده، وفلذات كبده، وأهل بيته، وأصحابه، وما يملك حتى نفسه الزّكيّة، قرابين على مذبح الشّهادة والدّين، والحرّيّة، والإباء إلّا امتداداً وإتماماً لخطّة أخيه الإمام الحسن -عليهما السلام- لكشف ظلم بني أُميّة وجورهم، وإظهار حقيقة كفرهم.

وقد أعقبت نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- ثورات متتالية أهمّها ثورة المدينة، وثورة التّوّابين، وثورة المختار بن عبيدة الثّقفي، وتبعتها ثورات أُخر، الواحدة تلو الأخرى، من هنا وهناك حتى قضت على عرش بني أُمية وأدّت إلى انهيار دولتهم إلى هاوية سحيقة من البغض والنّسيان.

الإمام
المجتبى

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

كيف كان الصّلح الحسني ممهّداً للنهضة الحسينيّة؟

الشّيخ صالح الكرباسي/ باحث إسلامي

دهاء معاوية

كانت نفس معاوية بن أبي سفيان توّاقة إلى الحكم والسّلطان والتّربُّع على كرسي الخلافة وأخذ زمام أمور الأمّة الإسلاميّة بيده حتى يتمكّن من الوصول إلى أهدافه وملذّاته الدّنيوية، ولكنه في نفس الوقت لم يكن ساذجاً بل كان معروفاً بالدّهاء والسّياسة، فكان يعرف جيّداً بأنّ وصوله إلى مبتغاه يحتاج إلى تخطيط دقيق وصبر كثير، وعليه أن يتجاوز الكثير من المراحل والأزمات حتى تتوفّر الأجواء المناسبة المؤدّية إلى قبول المسلمين بالأمر الواقع الذي كان يريده لهم.

وكان معاوية يعرف جيّداً بأنّه إن أراد الوصول إلى هذه النّتيجة فلا بُدّ له أن يتستّر بعباءة الدّين وعليه أن يخفي نواياه وكذلك أعماله التي لا تنسجم مع الدّين الإسلامي وتعاليمه وأحكامه، فكان حريصاً على التّظاهر بالالتزام الدّيني والحرص على مصلحة الأمّة الإسلاميّة.

ولم يخطئ معاوية في تقييمه للظروف فكانت النّتيجة أنّ جماعات كبيرة من المسلمين لم يتمكّنوا من معرفة معاوية على حقيقته فلم يتمكنوا من تمييز الحق من الباطل خلال فترة خروجه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- في حرب صفين وبعدها في المواجهات التي دارت بينه وبين الإمام الحسن بن علي -عليه السلام- فكان ما كان.

أسباب قبول الإمام الحسن-عليه السلام- للصلح

إنّ الإمام الحسن -عليه السلام- لمّا رأى أنّ جيشه قد تأثّر هو الآخر بالتّضليلات الإعلامية التي كان مصدرها الجهاز السّياسي والإعلامي لمعاوية ـ طبعاً بعد أن أقام الحجّة على المسلمين بمخالفته لمعاوية من خلال مواجهته العسكريّة له ـ لم يجد بدّاً من قبول الصّلح مع معاوية، ولكنّه -عليه السلام- برع في تسجيل نصر كبير ـ لم يفطن له معاوية رغم دهائه ومكره ـ من خلال بنود مذكّرة الصّلح، حيث أراد الإمام الحسن -عليه السلام- أن يثبت للمسلمين في ذلك العصر بل للتاريخ زيف ما كان يدّعيه معاوية، ويبيِّن كذبه وتزويره للحقائق، كما أراد إزاحة عباءة الدّين عن معاوية، تلك

التي طالما تستّر بها معاوية، وبالفعل فقد استطاع الإمام الحسن -عليه السلام- بعد فترة وجيزة من تعرية معاوية وكشفه كشفاً كاملاً أمام المسلمين.

معاوية يسقط القناع عن وجهه

لقد نجح الإمام الحسن -عليه السلام- في تحقيق أهداف الصّلح، فبعد مضي أيّام على توقيع معاهدة الصّلح أسقط معاوية القناع عن وجهه فبدأ يعترف بنواياه ويقول: " إِنِّي واللَّه مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتُصَلُّوا ولَا لِتَصُومُوا ولَا لِتَحجُّوا ولَا لِتُزَكُّوا، إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ذَلِكَ، ولَكِنِّي قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَلَا وإِنِّي كُنْتُ مَنَّيْتُ الْحَسَنَ وأَعْطَيْتُهُ أَشْيَاءَ وجَمِيعُهَا تَحْتَ قَدَمَيَّ لَا أَفِي بِشَيْءٍ مِنْهَا لَه"(١).

وهكذا مكّن الإمام الحسن -عليه السلام- المسلمينَ من اكتشاف حقائق مهمّة والحصول على تجربة سياسيّة عظيمة مهّدت لتجربة أخرى أكبر.

لذا فإنّ هناك فرقاً كبيراً جدّاً بين المواجهتين، أي مواجهة الإمام الحسن -عليه السلام- لمعاوية، ومواجهة الإمام الحسين -عليه السلام- ليزيد بن معاوية .

الهوامش:

(١) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار -عليهم السلام-): ٤٤ / ٤٨، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة: ١١١٠ هـ، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية.

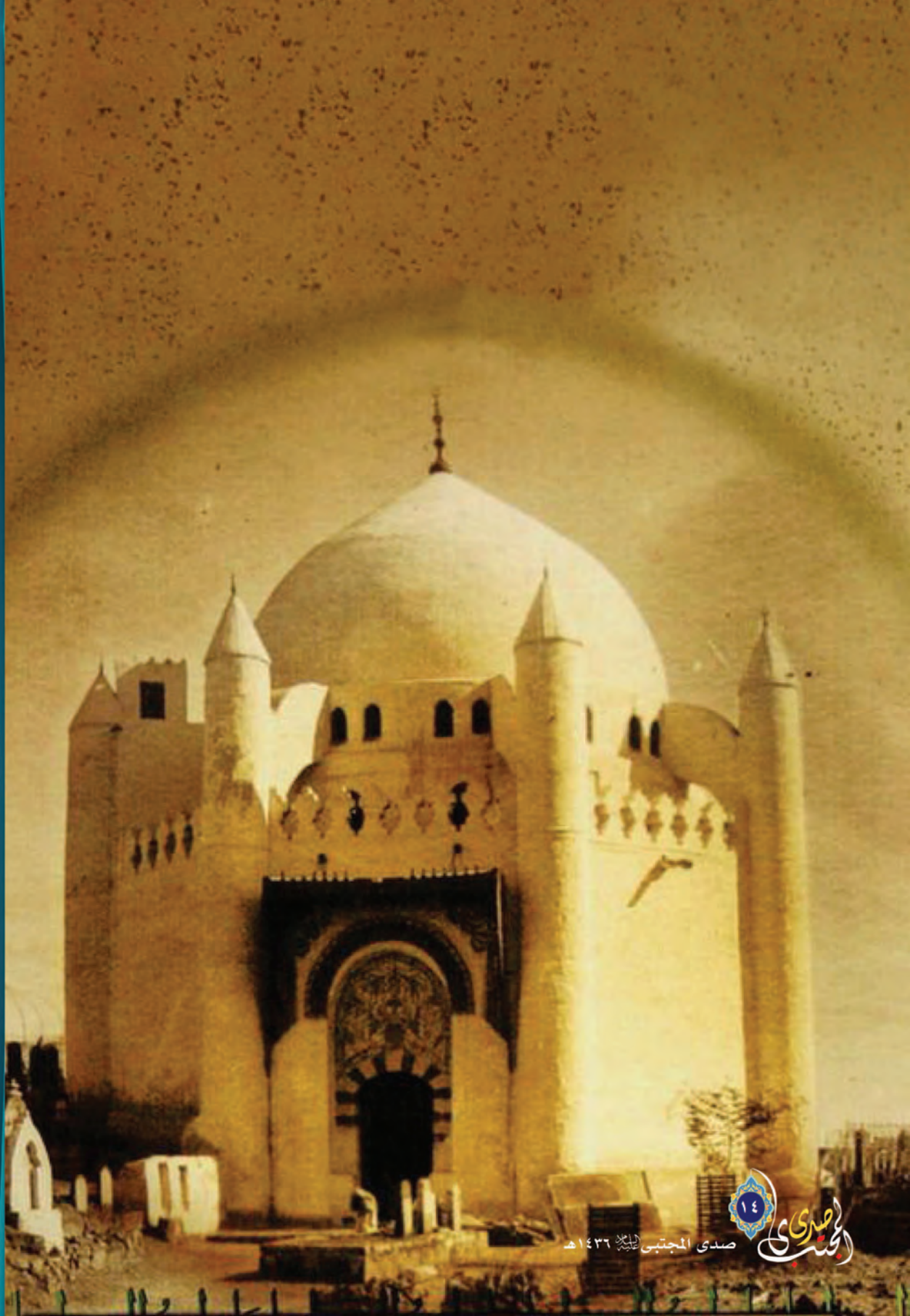

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الشيخ عبدالله اليوسف
باحث إسلامي

١٥
صدى المجتبى
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب-عليهما السلام-، الثاني من أئمة أهل البيت-عليهم السلام- الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، وسيّد شباب أهل الجنة، وأحد الثّقلين الذي من تمسك بهما نجا، ومن تخلّف عنهما غرق وهوى، تربّى في أحضان جدّه رسول الله-صلى الله عليه وآله-، وتغذّى من بيت الإمامة في ظل والده الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-، فجمع في شخصيّته شرف النّبوّة والإمامة، وشرف النّسب والحسب.

وقد تميّز الإمام الحسن المجتبى-عليه السلام- بالحلم والسّماحة والجود والكرم حتّى سُمّي بكريم أهل البيت لكثرة سخائه وكرمه وعطائه، واهتمامه بالفقراء والمحتاجين والمعوزين.

وشخصيّة بحجم الإمام الحسن الزّكي-عليه السلام- بحاجة للكثير من الدّراسات التّحليليّة لمعرفة أبعاد شخصيّته العظيمة، والظّروف التي عايشها في حياته، وما تركه من آثار أخلاقيّة واجتماعيّة وفكرية وعقائدية للأجيال المتعاقبة، فالإمام الحسن-عليه السلام- شخصيّة كبيرة، وقد عاش إرهاصات نشر الإسلام في ظل جدّه الرّسول الأكرم-صلى الله عليه وآله-، كما تحمّل المعاناة والآلام والشّدائد في سبيل تثبيت دعائم الإسلام وأركانه، وشاهد وشارك وجاهد في تحمّل المسؤوليّة في مواجهة النّاكثين والفاسقين والمارقين في عهد والده الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام-.

وقد واجه الإمام الحسن الزّكي-عليه السلام- في حياته الكثير من المعاناة والآلام والمحن، وتحمّل من صنوف الأذى النّفسي والعنف المعنوي الشّيء الكثير، حتّى مِن بعض أصحابه الذين لاقوه بالنّقد الشّديد لإبرامه الصّلح مع معاوية مع علمهم باضطراره لذلك... وهذه هي المحنة الأولى والأصعب على الإمام؛ إذ أنّ بعض أقرب الناس إليه لم يستوعبوا ما قام به الإمام الحسن-عليه السلام- من صلح مع معاوية، وعاتبوه بل وتلفّظوا عليه بما لا يليق!

فهذا سفيان بن أبي ليلى يقول له: السّلام عليك يا مذلّ المؤمنين!!! فقال له: ((ما أذللتهم، ولكن كرهت أن أفنيهم وأستأصل شأفتهم لأجل الدّنيا))(١).

وقد أوضح الإمام الحسن-عليه السلام- أنّ من أهدافه من إبرام الصّلح هو الحفاظ على البقيّة الباقية من المؤمنين؛ فقد قال لمالك بن ضمرة لمّا عاتبه على الصلح:

((خشيت أن تجتثوا عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين في الأرض ناعي))(٢).

وقال لأبي سعيد لمّا سأله عن علّة الصّلح أيضاً: ((لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل))(٣) .

والمحنة الأخرى التي واجهها الإمام الحسن-عليه السلام- كانت مع أعدائه: إذ قام الأمويون بحملة لتشويه شخصيّة الإمام الحسن-عليه السلام- حيث شنوا عليه حملة دعائية لتشويه شخصيّته، ولفّقوا عليه اتهامات كاذبة من قبيل: إنّه كثير الزّواج والطّلاق، ووضع أحاديث مزوّرة تعطي انطباعاً غير لائق عن شخصيّته وسيرته ومقامه وفضله.

ولمّا رأى الأمويون اصطفاف الناس حول الإمام الحسن-عليه السلام- بالمدينة، وبعد محاولات عديدة لم تحقّق أهدافها لاغتيال شخصيّته المعنوية والاعتبارية، وضعوا خطّة محكمة للقضاء الجسدي على الإمام الحسن من أجل التّخلّص منه نهائيّاً.

وبالفعل قاموا باغتيال الإمام الحسن-عليه السلام- بسم زعاف دُسّ إليه بواسطة زوجته (جعدة بنت الأشعث) التي وضعت السّم في جرعة من اللّبن وقدّمته للإمام الحسن-عليه السلام- وهو صائم! حتّى لحق بالرّفيق الأعلى شاهداً وشهيداً.

وهكذا توّج الإمام الحسن المجتبى-عليه السلام- جهاده العظيم بالشّهادة، فذهب لربّه شهيداً بعدما قاد الأمّة خلال فترة إمامته التي استمرّت عشر سنوات في ظروف صعبة ومعقّدة للغاية.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيّاً .

الهوامش:

١- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج٤٤/ ص٢٤.

٢- ترجمة الإمام الحسن-عليه السلام-/ ابن عساكر/ تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي/ مؤسسة المحمودي/ بيروت/ الطّبعة الأولى/ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م/ ص٢٠٣.

٣- العلامة المجلسي/ المصدر السابق/ ج٤٤/ ص٢.

السلام عليك يا أبا محمد الحسن بن علي

يا ابن رسول الله يا علي المجتبى

يا حسين بن أيها الـ

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الإمام الحسن عليه السلام

لماذا تنسِب الشّيعة الحسن والحسين وأبناءهما إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله-؟

الشيخ حيدر حسن/ خطيب حسيني

يُعتبر هذا الموضوع من جملة المواضيع التي تكرر التّساؤل عنها على مدى القرون والأعصار، ولقد أجاب عنه العلماء الأعلام بإجابات مختلفة حسب مقتضى الحال، لكنّ أفضل إجابة عن هذا السّؤال هو ما أجاب به الإمام موسى بن جعفر الكاظم -عليه السَّلام- حينما طرح عليه هارون العبّاسي هذا السّؤال، فكانت الإجابة منه -عليه السَّلام-على شكل حوار جرى بينهما كالتالي:

استدلال الإمام الكاظم -عليه السلام-:

قال هارون العبّاسي للإمام موسى بن جعفر الكاظم -عليه السَّلام-: لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله -صلَّى الله عليه وآله- ويقولوا لكم: يا بَني رسول الله! وأنتم بَنو علي، وإنّما يُنسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنّما هي وعاء، والنبي -صلَّى الله عليه وآله- جدّكم من قِبَل أُمّكم؟.

فقال الكاظم -عليه السَّلام-: " .... لو أنَّ النبي -صلَّى الله عليه وآله- نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تُجيبه "؟

فقال هارون: سبحان الله! ولم لا أُجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

قال الكاظم -عليه السَّلام-: " لكنّه لا يخطب إليَّ ولا أُزوجه ".

فقال هارون: ولم؟

قال الكاظم -عليه السَّلام-: " لأنّه ولدني ولم يلدك ".

فقال هارون: أحسنت يا موسى!

ثم قال هارون: كيف قلتم إنّا ذرّية النبي -صلَّى الله عليه وآله- والنّبي لم يعقب، وإنّما العقب للذكر لا للأنثى، وأنت ولد الإبنة ولا يكون لها عقب له.

قال -عليه السَّلام-: " أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلاّ أعفيتني عن هذه المسألة".

فقال هارون: لا، أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أُنهيَ إليَّ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله، وأنتم تدّعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلاّ

تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عَزَّ وجَلَّ: (... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ...)(١) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقال الكاظم -عليه السَّلام-: " تأذن لي في الجواب "؟

قال هارون: هات.

قال -عليه السَّلام-: " أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرحمن الرحيم (... وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(٢)، (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)(٣)، من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال هارون: ليس لعيسى أب.

قال الكاظم -عليه السَّلام-: " إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء -عليهم السَّلام- من طريق مريم -عليها السَّلام-، وكذلك أُلحقنا بذراري النبي -صلَّى الله عليه وآله- من قبل أُمِّنا فاطمة -عليها السَّلام-، أزيدك يا أمير المؤمنين "؟

قال هارون: هات.

قال -عليه السَّلام-: قول الله -عَزَّ وجَلَّ-: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(٤) ولم يَدَّع أحد أنّه أدخل النبي -صلَّى الله عليه وآله- تحت الكساء ـ و ـ عند مباهلة النّصارى إلاّ علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن والحسين، فأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا عليّ بن أبي طالب -عليهم السَّلام-، على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أُحد: يا محمد! إنَّ هذه لهي المواساة من علي قال: لأنّه منّي وأنا منه.

فقال جبرئيل: " وأنا منكما يا رسول الله " ثمّ قال:

لا سيف إلاّ ذو الفقار * ولا فتى إلاّ علي

فكان ـ أي علي -عليه السَّلام- ـ كما مدح الله عَزَّ وجَلَّ به خليله -عليه السَّلام- إذ يقول: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)(٥).

إنّا نفتخر بقول جبرئيل أنّه منّا ".

فقال هارون: أحسنت يا موسى! ارفع إلينا حوائجك(٦).

مناظرة يحيى بن يعمر مع الحجاج بهذا الخصوص:

قال الشّعبي: كنت بواسط(٧)، وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع الحجاج، فخطب خطبةً بليغة، فلمّا انصرف جاءني رسوله فأتيته، فوجدته جالساً مستوفزاً، قال: يا شعبي هذا يوم أضحى، وقد أردت أن أضحّي برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله، فتعلم أنّي قد أصبت الرّأي فيما أفعل به.

فقلت: أيّها الأمير، لو ترى أن تستن بسنّة رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وتضحّي بما أمر أن يضحي به، وتفعل فعله، وتدع ما أردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره.

فقال: يا شعبي، إنّك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه، لكذبه على الله وعلى رسوله، وإدخاله الشّبهة في الإسلام.

قلت: أفيرى الأمير أن يعفيني من ذلك؟

قال: لا بدّ منه.

ثم أمر بنطع فبسط، وبالسيّاف فأُحضر.

وقال: أحضروا الشّيخ، فأتوه به، فإذا هو يحيى بن يعمر(٨)، فأغممت غمّاً شديداً، فقلت في نفسي: وأي شيء يقوله يحيى مما يوجب قتله؟

فقال له الحجّاج: أنت تزعم أنّك زعيم أهل العراق؟

قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء أهل العراق.

قال: فمن أي فقهك زعمت أنّ الحسن والحسين -عليهما السَّلام- من ذرّيّة رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

قال: ما أنا زاعم ذلك، بل قائل بحق.

قال: وبأي حق قلت؟

قال: بكتاب الله عز وجل.

فنظر إليَّ الحجاج، وقال: اسمع ما يقول، فإنّ هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في

كتاب الله عز وجل أنّ الحسن والحسين من ذرّيّة محمّد رسول الله -صلى الله عليه وآله-؟ فجعلت أفكر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئاً يدل على ذلك.

وفكّر الحجاج مليّاً ثم قال ليحيى: لعلك تريد قول الله -عز وجل-: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(٩) وأنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين -عليهم السَّلام-.

قال الشّعبي: فكأنّما أهدى لقلبي سروراً، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى، وكان الحجاج حافظاً للقرآن.

فقال له يحيى: والله، إنّها لحجة في ذلك بليغة، ولكن ليس منها أحتج لما قلت.

فاصفرَّ وجه الحجاج، وأطرق مليّاً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال: إن جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك، فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأتِ بها فأنا في حلٍّ من دمك.

قال: نعم.

قال الشّعبي: فغمَّني قوله، فقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنّه قد عرفه وسبقه إليه، ويتخلص منه حتى ردّ عليه وأفحمه، فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجّته لئلا يدّعي أنّه قد علم ما جهله هو.

فقال يحيى للحجاج: قول الله عزّ وجلّ: (... وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ...)(١٠) من عنى بذلك؟

قال الحجاج: إبراهيم -عليه السَّلام-.

قال: فداود وسليمان من ذرّيته؟

قال: نعم.

قال يحيى: ومن نصّ الله عليه بعد هذا أنّه من ذرّيته؟

فقرأ يحيى: (وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(١١)

قال يحيى: ومن؟

قال: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى...)(١٢)

قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرّية إبراهيم -عليه السَّلام-، ولا أب له؟

قال: مِن قِبَل أُمّه مريم -عليها السلام-.

قال يحيى: فمن أقرب: مريم من إبراهيم -عليه السَّلام-، أم فاطمة -عليها السلام- من محمّد -صلى الله عليه وآله-؟

قال الشّعبي: فكأنّما ألقمه حجراً.

فقال: أطلقوه قبَّحَه الله، وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لا بارك الله فيها.

ثمّ أقبل عليَّ فقال: قد كان رأيك صواباً ولكنّا أبيناه، ودعا بجزور فنحره وقام فدعا بالطّعام فأكل وأكلنا معه، وما تكلّم بكلمة حتى افترقنا ولم يزل ممّا احتجّ به يحيى بن يعمر واجماً(١٣).

الحسن والحسين ابناي:

والكلام الفصل في هذا الموضوع هو قول رسول الله -صلى الله عليه وآله-، فقد رَوى سلمان -رضي الله عنه-، قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: الحسن والحسين ابناي، من أحبّهما أحبَّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النّار.

قال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين(١٤).

الهوامش:

(١)سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢)سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٣)سورة الأنعام، الآية: ٨٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٥) سورة الأنبياء / الآية: ٦٠.

(٦) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)): ٤٨ / ١٢٩، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية.

(٧) واسط: مدينة بناها الحجاج في العراق عام ٨٣ / ٨٤ هجري، وسميت واسطاً لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد، فإنّ بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقداراً واحداً وهو خمسون فرسخاً. التنبيه والأشراف: ٣١١، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٥٠.

(٨) هو أبو سليمان يحيى بن يعمر العامري البصري، ولد في البصرة، وهو أحد قرّائها وفقهائها، كان عالماً بالقرآن الكريم والفقه والحديث والنّحو ولغات العرب، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وحدَّث عن أبي ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وابن عبّاس وغيرهم، كما حدث عنه جماعة أيضاً، وكان من الشّيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت - صلوات الله وسلامه عليهم -، وقيل هو أول من نقّط القرآن قبل أن توجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلّف، طلبه الحجّاج من والي خراسان قتيبة مسلم فجيء به إليه، لأنّه يقول أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) ذريّة رسول الله، وقد أذهل الحجّاج بصراحته وجرأته في إقامة الحق وإزهاق الباطل حتى نصره الله عليه، كما نفاه الحجاج في سنة ٩٤ هجرية لأنّه قال له: هل ألَحَنْ؟ فقال: تلحن لحناً خفياً. فقال: أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعدُ بأرض العراق قتلتك؟

فخرج، وأخباره ونوادره كثيرة، توفي – رحمة الله عليه – سنة ١٢٩ هجرية.

(٩)سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(١٠)سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(١١)سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(١٢)سورة الأنعام، الآية: ٨٥.

(١٣) كنز الفوائد للكراجكي: ١ / ٣٥٧ – ٣٦٠، بحار الأنوار للمجلسي: ١٠ / ١٤٧ – ١٤٩، حديث ١، و٢٥ / ٢٤٣ – ٢٤٦، حديث ٢٦، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦ / ١٧٤، العقد الفريد للأندلسي: ٢ / ٤٨ – ٤٩، و٥ / ٢٨١، بتفاوت. نقلاً عن مناظرات في العقائد والأحكام، الجزءُ الأول، تأليف وتحقيق: الشيخ عبد الله الحسن، ٢٥٥ – ٢٥٩.

(١٤) مستدرك الصحيحين: ٣ / ١٦٦.

علي بن المجتبى
عليه السلام

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

جلوس في الطرقات

منذر كاظم آل هريبد/ كاتب

تتحدث السطور القادمة عن رواية تفترض جلوس الإمام المجتبى أبي محمد الحسن- عليه السلام- على باب داره، وبينما هو جالس في ذلك المكان ينقطع الطّريق ولا يمر به أحد.

والحق أنّ هذه الشّبهة قد تكون أهون الشّبهات التي وجدت سبيلها إلى سيرة حياة الإمام-عليه السلام-، بحيث أنّ الكثيرين يختلفون معي عند عدّها من الأشياء التي تمس بقدسيّته، بل أنّ بعض الكتب، يجعل من هذه القصّة مضرب المثل عند الحديث عن هيبة السّبط الأكبر-عليه السلام- مع كون هذا الفعل (الجلوس في الطّرقات) من منافيات المروة، الذي لا يرضى أحد بنسبته لمن هو في مرتبة أقل من مراتب الأئمة كمراجع الدّين العظام(١).

إضافة إلى أنّها تُصوّر الإمام الحسن-عليه السلام- وكأنّه يفتقر إلى عمل يسدّ به وقت فراغه، مع حاجة المجتمع إليه، وحاجته إلى التّزوّد والارتواء من معين القرب من ربّ العالمين كما هو ديدن(٢) جده وأبيه وأمه-عليهم السلام-.

مستند الشّبهة

رواية مرسلة تُنقل في الكتب عن محمد بن إسحاق قال: «ما بلغ أحد من الشّرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن كان يُبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطّريق، فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر النّاس»(٣).

محاكمة الشّبهة:

أولاً: مناقشة السّند:

وواضح من كلامنا المتقدّم أنّ هذه الحكاية من المرسلات؛ لأنّ محمد بن إسحاق (ولد بالمدينة المنوّرة حدود سنة ٨٥)(٤)، ولذلك تحتاج روايته لتفاصيل من حياة الإمام الحسن -عليه السلام- إلى شخص آخر يَسند عنه، يكون موجوداً قبل حلول سنة ٥٠ هـ.

ثانياً: مناقشة الألفاظ:

تحاول الرّواية جعل أمر الجلوس في الطّرقات يتكرّر ويصبح وكأنّه شيء يومي، ولفترة

زمنية من فترات النّهار ليست بالقصيرة تكفي لمعرفة الناس بخروجه وجلوسه فلا يمر أحد، وتجعل الإمام منشغلاً عن النّاس حتى إذا انقطع الطّريق، والتفت إلى ذلك، أصلح الوضع «فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس».

ثالثاً: مناقشة المضمون:

هذه الحكاية المرسلة تنسب شيئاً لا يليق بقدسيّة المعصومين -عليهم السلام-، فالجلوس في الطّرقات ممّا جاء فيه تنبيه من رسول الله-صلى الله عليه وآله- لعامّة المسلمين على فعله، كما ينص الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النّبي-صلى الله عليه وآله- قال: «إيّاكم والجلوس على الطّرقات، فقالوا: مالنا بد إنّما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطّريق حقه، قالوا وما حق الطّريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السّلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»(٥)، كما أنّه مخالف للوصية التي أسداها أمير المؤمنين -عليه السلام- لأمّة أخيه عبر الإمام الحسن -عليه السلام-: «وإياك والجلوس في الطّرقات»(٦).

ولا يحتاج أهل السّيرة أن يمثلوا بهذه الحكاية لهيبة الإمام -عليه السلام-، فإنّ في المباهلة كفاية لمن يريد، حيث أجبرت هيبة رسول الله-صلى الله عليه وآله- وأمير المؤمنين والزّهراء البتول والسّبطين الكريمين-صلوات الله عليهم-، نصارى نجران على التّراجع ودفع الجزية كما يشهد بذلك المقطع الآتي:

«... وكان رسول الله-صلى الله عليه وآله- خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النّصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة»(٧).

كما أنّ ممّا يدل على هيبة الإمام الحسن -عليه السلام- طاعة أخيه وسيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين -عليه السلام- فيما روي عن الإمام الباقر-عليه السلام- قال: «**ما تكلّم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلّم محمد بن الحنفية بين يدي**

الحسين إعظاماً له»(٨).

وقد اشتهر عن واصل بن عطاء: «كان الحسن بن علي عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك»(٩).

الهوامش:

١- يقول السيد الخوئي-رحمه الله- في كتاب الاجتهاد والتقليد شرح ص ٢٧٩ - ٢٨٠: «نعم ارتكاب ما يعد خلاف المروة قد يكون أمراً غير مناسب للمرتكب بل هتكاً في حقه، كما إذا خرج أحد المراجع العظام إلى الأسواق بلا عباء أو جلس في الطّرقات، أو دخل المقاهي وبالأخص إذا أقترنه بعض الأمور غير المناسبة، فإنّه لا شبهة في أنّه هتك في حقه وموجب لسقوطه عن الأنظار، ومثله ينافي العدالة لا محالة إلا أنّه لا لأنه خلاف المروة والتّعارف. بل من جهة أنّه محرّم شرعاً، إذ كما يحرم على المكلف أن يهتك غيره كذلك يحرم عليه أن يهتك نفسه، لأنّه أيضاً مؤمن محترم».

٢- ديدن: عادة ودأبٌ.

٣- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١٧٤.

٤- الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصّادق -عليه السلام- عبد الحسين الشبستري ٣: ٢٨.

٥- صحيح البخاري - البخاري، ٣: ١٠٣.

٦- الأمالي - الشيخ المفيد، ٢٢٢.

٧- تفسير الرازي - الرازي، ٨: ٨٥.

٨- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر اشوب، ٣: ١٦٩.

٩- المصدر السابق، ٣: ١٧٦.

صلى الله عليك يا
حسن بن علي المجتبى عليه السلام

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الإمام الحسن عليه السلام في مجتمع المسلمين

السيد زهير طالب الأعرجي
باحث اسلامي

٣٧
صدى المجتبى
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

كانت وظيفة الإمام الحسن -عليه السلام- إرشاد الأمة إلى دينها، وتصحيح مواقفها، وإرشادها إلى الفضائل. وكان المسلمون يتقرّبون من ذرّيّة رسول الله -صلى الله عليه وآله- عبر طلب العلم والسّؤال عن دينهم ودنياهم. وكان -عليه السلام- يختلط بالنّاس، ويعرف وجوه القوم، ويجيبهم على مسائلهم مباشرة. ولم تكن الهدنة مع معاوية لتثنيه عن وظيفته الشّرعية في إمامة المسلمين، خصوصاً في المدينة.

يقول ابن كثير: "... وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النّعم عليه. وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وأرضاهما"(١)، وإليك بعض مواقف الإمام-صلوات الله عليه- التي تبيّن علاقته بالمجتمع:

مع النّاس:

يروى أنَّه عندما كان يطوف -عليه السلام- في بيت الله الحرام يسأله رجل عن معنى الجواد فيقول -عليه السلام- له وهو لا يزال في الطّواف:

(إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوق، فإنّ الجواد الذي يؤدّي ما افترض عليه، والبخيل الذي يبخل بما افترض عليه. وإن كنت تسأل عن الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع. لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له)(٢).

ويأتيه الرّجل في مناسبة أخرى، ويقول له: يا بن رسول الله إنّي من شيعتكم! فيقول -عليه السلام-: **(...لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبّيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خير)(٣).**

ويوعظ -عليه السلام- الناس ويذكّرهم بالآخرة، فيقول: **(إتقوا الله عباد الله، وجدّوا في الطّلب... وبادروا العمل قبل مقطعات النّقمات، وهادم اللّذات، فإنّ الدّنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيعها، ولا تتوقّى مساويها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بأثر. وازدجروا بالنّعيم. وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنّةِ ثواباً، وكفى بالنار عقاباً**

ووبالاً)(٤).

ويمشي في السّوق ويرى -عليه السلام- من يهتم بطعامه ولا يهتمّ بدينه، فيقول: **(عجبت لمن يفكّر في مأكوله، كيف لا يفكّر في معقوله، فيجنّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه!)**(٥).

ويقول -عليه السلام- أيضاً: **(أنّ الشّاة أعقل من أكثر الناس، تنزجر بصياح الرّاعي عن هواها، والإنسان لا ينزجر بأوامر الله وكتبه ورسله)**.

وكان النّاس يتجمّعون حول الحسن -عليه السلام- في المسجد ويسألونه: من أحسن الناس عيشاً؟ فيقول: **(من أشرك الناس في عيشه)**. ثم يسألونه: ومن أشرّ الناس؟ فيقول -عليه السلام-: **(من لا يعيش في عيشه أحد)**. ثم يسألونه مرّة أخرى: ومن شرّ الناس؟ فيقول -عليه السلام-: **(من يرى أنّه خيرهم)**.

ويأتيه الرّجل الذي أصابته مصيبة بذويه، فيسلّيه ويقول -عليه السلام- له: **(إن كانت المصيبة أحدثت لك موعظةً، وكسّبتك أجراً فهو، وإلا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك)**(٦).

قال ابن كثير ناقلاً رواية عن الإمام الباقر -عليه السلام-: **(جاء ... إلى الحسن -عليه السلام- فاستعان به فقضى حاجته، وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إليّ من اعتكاف شهر)**(٧).

قال ابن عبد ربه: "وخطب الحسن في دم، فأجابه صاحب الدّم، فقال: قد وضعت ذلك الدّم لله ولوجوهكم. قال له الحسن -عليه السلام-: **(ألا قلتَ قد وضعتُ ذلك لله خالصاً)**؟"(٨).

وكان -عليه السلام- يتوجّه إلى الشّباب ويقول لهم: **(معاشر الشّباب: عليكم بطلب الآخرة، فوالله رأينا أقواماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدّنيا والآخرة، ووالله ما رأينا من طلب الدّنيا فأصاب الآخرة)**.

العمل والجزاء:

وكان -عليه السلام- يخاطب النّاس ويدعوهم إلى تقوى الله، فيقول -عليه السلام-: **(اعلموا أنّ الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتاركم سدى، كتب آجالكم وقسّم بينكم معائشكم، ليعرف كل ذي لبٍ منزلته، وأنّ ما قدّر له أصابه وما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدّنيا وفرّغكم لعبادته، وحثّكم على الشّكر، وافترض عليكم الذّكر، وأوصاكم بالتّقوى، منتهى رضاه.**

والتقوى باب كلّ توبة، ورأس كلّ حكمة. وشرف كلّ عملٍ بالتقوى، فاز من فاز من المتّقين، قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)(٩)، وقال: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)(١٠). فاتقوّا الله عباد الله، واعلموا: أنّه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره، ويهيئ له رشده، ويفلحه بحجته، ويبيض وجهه، ويعطه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيين، والصّدّيقين، والشّهداء، والصّالحين، وحسن أولئك رفيقاً)(١١).

ويسير الإمام الحسن -عليه السلام- في بعض الطّرق، وقد لبس ثياباً طاهرة نظيفة فضفاضة وركب بغلة بيضاء، وحفّت به حاشيته. فرآه أحدهم، فقال له: إنّ جدّك رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- يقول: الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، فأنت المؤمن وأنا الكافر، وما الدّنيا إلا جنة لك تتنعّم فيها وتستلذّ بها وأنت مؤمن وما أراها إلا سجناً قد أهلكني حرّها وأجهدني فقرها.

فقال الحسن -عليه السلام-: **(لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي وللمؤمنين في الدّار الآخرة، ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لعلمت: أنّي قبل انتقالي إليها وأنا في هذه الحالة سجين، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافرٍ في دار الآخرة، من سعير نار جهنّم، ونكال العذاب الأليم المقيم، لرأيت قبل مصيرك إليه أنّك في جنّةٍ واسعةٍ، ونعمةٍ جامعةٍ)(١٢).**

وكان -عليه السلام- يردّد: **(إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها)**. فقيل له: يا ابن رسول الله! ومن أهلها؟ قال -عليه السلام-: **(الذي خصّ الله في كتابه، وذكرهم فقال:**

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)(١٣). هم أولوا العقول)(١٤).

من مواعظه -عليه السلام- للناس:

وكان مما يعظ به الناس: (يا ابن آدم: عفّ عن محارم الله تكن عابداً، وأرضَ بما قسم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحبّ أن يصاحبوك به تكن عادلاً. إنّه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك، فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع)(١٥).

ويقول -عليه السلام- أيضاً: (مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللّسان، وصدق البأس، وإعطاء السّائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصّنائع، وصلة الرّحم، والتّذميم(١٦) على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقري الضّيف، ورأسهن الحياء)(١٧).

الهوامش:

١- البداية والنهاية/ ج ٨/ ص ٣٦.

٢- مجمع البحرين - الطريحي . مادة (جود).

٣- تنبيه الخواطر ونزهة المناظر/ ص ٣٠١.

٤- تحف العقول - إبن شعبة الحراني/ ص ١٦٧ .

٥- بحار الانوار / ج ١/ ص ٢١٨ عن دعوات الراوندي.

٦- تنبيه الخواطر ونزهة المناظر/ ص ٤١١.

٧- البداية والنهاية/ ج ٨/ ص ٣٨.

٨- العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٦.

٩- سورة النبأ/ الآية ٣١.

١٠- سورة الزمر/ الآية ٦١.

١١- تحف العقول/ ص ٢٣٢.

١٢- الفصول المهمة/ ص ١٦١.

١٣- سورة الرعد/ الآية ١٩.

١٤- بحار الانوار/ ج ١/ ص ٤٨.

١٥- بحار الأنوار/ ج ٧٥/ ص ١١٢.

١٦- التذميم: مأخوذ من أذمه، أي أجاره وأخذه تحت حمايته.

١٧- تاريخ اليعقوبي/ ج١ / ص ٢٠١.

صلى الله عليك يا
الحسن بن علي بن محمد بن علي
عليه السلام

يا حسن بن علي عليه السلام
المجتبى

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الحسن والحسين عليهما السلام إمامان قاما أو قعدا

السيد محمد الحسيني
باحث اسلامي

٤٥
صدى المجتبى
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)...

الحديث المتقدم مروي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-، ولا نريد أن نتكلّم هنا حول جوانب هذا الحديث، وإنّما نذكره لنبيّن بشيء من الإيجاز وقبل أن ندخل في صلب الموضوع لابد أن نقدّم مقدّمة وهي:

إنّ الإمام الحسن والإمام الحسين -عليهما السلام-، كان دورهما تخطيطاً من الله -سبحانه وتعالى-، ومن الرّسول -صلى الله عليه وآله- تبعاً لله -سبحانه-، لإنقاذ الأجيال الصّاعدة إلى يوم القيامة، لا من جهة أنّهما إمامان وخليفتان، فإنّ هذا شيء محرز واضح، وإنّما من جهة أنّهما كانا عِبرة لكلِّ الأشخاص الذين يريدون إنقاذ البلاد والعباد من جور الطّغاة، في أي زمان كانوا وفي أي مكان.

فقد ورد في الحديث أنّ الله -سبحانه وتعالى- بواسطة جبرائيل أرسل إلى الرّسول -صلى الله عليه وآله- اثني عشر ظرفاً، كل ظرف مختوم بختم من الله -تعالى- لكي توزّع تلك الظّروف إلى الأئمّة الاثني عشر، وفي هذه الظّروف كلُّ ما يجب على الإمام أن يقوم به من دور ويؤدّي من مهمّة، حتى إذا وصلت نوبة إمام من الأئمة فتح ظرفه ونظر ما فيه، وعمل حسب ما يقرره محتوى هذا الظّرف.

والذي نريد أن نتوصّل إليه هو أنّه هل نحن نعتقد من حال هذين الإمامين حسب هذا الحديث الذي نحن بصدده **(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)**؟

ذلك لأنّهما ليسا إمامين لزمانهما فحسب، وإنّما إمامان للأجيال إلى يوم القيامة، وهنا ثلاثة مواضيع لابد أن نتكلم عنها:

الموضوع الأوّل: أنّ المجتمع كيف يفرز الطّغاة؟

الموضوع الثّاني: نفسيّة الطّغاة.

الموضوع الثّالث: كيف يجب أن يقابل الطّغاة؟

المجتمع يفرز الطّغاة

ولنتكلّم هنا بإيجاز: المجتمعات التي ضعف فيها المصلحون، وشرس فيها المفسدون تفرز الطّغاة، إذ من الطّبيعي أن يأتي الطّاغي ويتحكّم به وحيث المفسدون كثيرون فمن الطّبيعي أن يستولي هؤلاء على البلاد، ويتحكّمون على رقاب العباد، ولذا ورد في الحديث عن الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-: **(لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر وإلا ليسلّط الله عليكم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم)**، وهذا شيء عقلي ومنطقي مقبول؛ لأنّ المصلح إذا لم يصلح فذلك يعني أنّ المجتمع صار مجتمعاً فاسداً بل بؤرة للفساد وعندها من يأتي على الحكم؟

حتماً أحد الفاسدين (كيف ما تكونوا يولّى عليكم).

فإذا جاء أحد الفاسدين وتحكّم وحكم المجتمع وأنت دعوت الله هل تتغير تلك الموازين بهذا الدّعاء؟ كلّا وفي هذا الحديث وهو **(لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر وإلاّ ليسلط الله عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)**.

وهذا لا يعني أنّ الرّسول -صلى الله عليه وآله- كشف إلينا أنّ هذا تشريع، أو أنّ هذا موضوع غيبي، أو أنّ هذا أخبار عن المغيّبات، إنّ أي إنسان حكيم وعاقل، (والرّسول- صلى الله عليه وآله- سيّد الحكماء وسيّد العقلاء) يفهم أنّ المجتمع الذي فيه المصلح خمل والمفسد فيه نشط تلقائياً يأتي الطّاغي إلى الحكم، ويفرض تحكمه وسيطرته واستبداده على رؤوس النّاس، وإذا جاء الطّاغي إلى الحكم فإنّ عمليّة تغيير ذلك الوضع والواقع لا تتم بالدّعاء وحده، وإنّما تتم بواسطة الدّعاء والعمل أيضاً؛ لأنّ لكل واحد منهما مقامه، والمجتمع الرّوماني كان مجتمعاً فاسداً منحطّاً، والمجتمع الإسلامي مجتمع ناشئ هش، ومعاوية ويزيد وليدا هذا المجتمع.

فمعاوية وُلد في بلاد الرّوم، لا في بغداد ولا في المدينة، ولا في الكوفة ولا في البصرة، وإنّما حكم معاوية وُلد في الشام، الشام بلاد الرّومان، والرّومان كانوا أناساً فاسدين إلى أبعد الحدود، ولذا لمّا جاء الإسلام أزاحهم كهشيم محتضر، إذا كان المجتمع الرّوماني مجتمعاً متماسكاً قويّاً، كانوا يقابلون المسلمين بأشد أنواع المقابلة.

هذا المجتمع ولّد معاوية، معاوية ما كان يتولد في المدينة أبداً، وما كان يتمكّن أن يتولد في مجتمع متدين نظيف.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنّ أي طاغ رأيت ولد في منطقة، سواء في العراق، أو في مصر، أو في أي بلد كان، أعرف أنّ له مقوّمات، والمقوّم الأوّل هو الحالة الاجتماعية المنحرفة والفاسدة في ذلك المجتمع.

وطبعاً المصلح لا نقصد به من يخطب ويأمر المعروف وينهى عن المنكر في مجتمع متديّن صغير أو أكبر وإنّما المصلح يعني الذي يغيّر، يعني الذي يُبدّل، يعني الذي يقابل الطّغاة أما في المجتمع الذي قلّ فيه المصلحون، وكثر فيه المفسدون فإنّ ذلك يتولد فيه الطّغاة.

الطّبيعة النّفسية للطاغية

ونأتي إلى الموضوع الثّاني، وهو أنّ نفسيّة الطّغاة على قسمين لا ثالث لهما، لأنّ الطّاغي أما أن يكون طاغياً ماكراً، وأمّا أن يكون طاغياً بليداً، لا ثالث لهما. وعلامة هذين الطّاغيين، هي أنّ الطّاغي الماكر مخادع في الحرب، دنئ في السّلم، بينما الطّاغي البليد شرس في الحرب، مستهتر في السّلم. لنمثّل بمعاوية ويزيد. معاوية من نوع الطّاغي الماكر، لأنّ طبيعة معاوية طبيعة ولد زنا، وكلّنا نعلم عن طريق العلم الحديث، والعلماء ذكروا في علم النّفس أنّ ولد الزّنا يخرج ماكراً في طبيعته.

فطبيعة معاوية هذه طبيعة ماكرة مخادعة، لأنّ معاوية ابن أبي سفيان وهند، وكلاهما زانيان مشهوران، ولد منهما معاوية كيف يخرج ولدهما؟ فمعاوية بطبيعته ماكر، وطبيعة المكر كما قلنا مخادعة في الحرب ودناءة في السّلم وقد ظهر هذا المخادع على حقيقته في الحرب، حيث مارس دور المخادعة وكذلك في حربه مع الإمام الحسن -عليه السلام- فإنّه قام بنفس العمل الخداعي، وفي كلّ حروب معاوية كانت للخدعة دور كبير.

وهذه طبيعة المكر، وكذلك في سلمه دنيء، فالإمام الحسن -عليه السلام- صالحه حقناً لدماء المسلمين وبعده صعد معاوية المنبر قائلاً: وضعت كلّ شروط الإمام الحسن -عليه السلام- في الصلح تحت قدمي، وهذه دناءة ذاتية متأصّلة في النّفس حتى الرّجل الماكر إذا أراد أن لا يفي للإمام بالشّروط، بأي داعٍ يقول ذلك فوق المنبر وعلى رؤوس

الأشهاد أو يقول (ما حاربتكم، لتصلّوا أو تصوموا، وإنّما حاربتكم لأتأمّر عليكم)، (هذه كلمة تسجل على الشّخص) لكن هذه طبيعة المكر وطبيعة الدّناءة (الماكر مخادع في الحرب دنيء في السّلم)، ثم إنّه يعلم أنّ الإمام الحسن-عليه السلام-، لا يحارب بعد ذلك؛ لأنّه هو أعرف بالإمام الحسن، وأنّه يفي له بالشّروط ومع ذلك سمّ الإمام الحسن، والإمام -عليه السلام- شيخ كبير السّن، ولعلّه كان يموت بعد ست أو خمس أو أربع سنوات، لكن طبيعة الدّناءة لا يمكن أن تصبر على ذلك، هذا صنف من الطّغاة، وهؤلاء ماكرون دنيئون.

القسم الثّاني من الطّغاة الطّاغي البليد: الطّاغي البليد كيزيد بن معاوية، هذا طاغٍ بليد، والبليد شرس في الحرب، وكلّكم تعلمون قصّة الإمام الحسين -عليه السلام-، وشراسة هذا الرّجل الجاهل (يزيد) وتعلمون قصّة مكة وشراسته، هذا معنى (أنّ الرّجل شرس في الحرب) لأنّ الطّغاة لا يستجيبون للموازين والقوانين والأفكار والتّعقّل، ومن هنا سمى طغيان النار مثلاً، يعني لا تعرف الموازين والقوانين والاحترام والزّيادة والنّقيصة، هذا الطّاغي وهو يزيد (أو الطّاغية والتاء للمبالغة مثل تاء علامة، لأنّه كما يقول السّيوطي التّاء على أربعة عشر قسماً في اللغة العربية منها تاء المبالغة، مثل تاء الطّاغية) البليد، من طبيعته الشّراسة في الحرب، كما أنّ من طبيعته الاستهتار بالإسلام، ولذا كان يقوم بمصاحبة القرد، وممارسة القهر، وشرب الخمر، والزنا، والاستهتار بحقوق الناس، وعدم الالتفات إليهم وعدم تقديرهم.

حتى أنّ أحد علماء السّنّة (في قصّة طويلة)، قال: كنّا نخاف أن تمطر السّماء بالحجارة، ذلك؛ لأنّ يزيد كان يزني بالمحارم، أمثال أخته وعمّته وما أشبه، هذان أنموذجان من الطّغاة وعلى طول الخط الطّاغي إما هكذا وإما هكذا، ولا قسم ثالث للطّاغي، حيث إما أن يكون الطّاغي ماكراً مخادعاً دنيئاً، وإما بليداً شرساً مستهتراً، والإمام الحسن -عليه السلام- قيّظهُ الله -سبحانه وتعالى- لمقابلة الطّاغي من القسم الأوّل، بينما الإمام الحسين -عليه السلام- قيّظهُ الله -سبحانه وتعالى- لمقابلة الطّاغي من القسم الثّاني.

المصلحون في العالم دائماً يجب أن يقتدوا إمّا بالحسن -عليه السلام- إذا كان أمامهم

مثل معاوية، وأمّا أن يقتدوا بالحسين-عليه السلام- إذا كان أمامهم مثل يزيد.
ومورد الحديث الشّريف **(الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا)**.
يبيّن بالنسبة للإمام الحسن كيف يجب أن يحارب، وكيف يجب أن يسالم حتى أنّ الإمام -عليه السلام- إذا لم يكن يسالم معاوية لكان ذلك نقصاً في دوره إذ أنّ معاوية كان العملة المزيّفة التي لها وجهان:
وجه حرب ووجه سلم، وعلى الإمام الحسن-عليه السلام- أن يظهر الوجهين، فإذا كان الإمام يحارب فقط لكان يظهر وجه معاوية الحربي والمخادع فحسب، أمّا وجهه السّلمي فما كان يظهر ولا ينجلي، وكذلك العكس أيضاً حيث أنّ الإمام الحسن -عليه السلام- إذا لم يُحارب لكان نقص في دوره؛ لأنّه كان يظهر وجه سلم معاوية فقط، أي وجه دناءته دون أن يكشف وجهه الحربي، ولذا كان الإمام الحسن دقيقاً في تخطيطه الذي هو تخطيط من الله -سبحانه وتعالى- حسب المنطق والعقل (بقطع النّظر عن العصمة، واعتقادنا نحن به كإمام مفترض الطّاعة والولاية) لذا فإنّ الإمام -عليه السلام- حارب فترة من الزّمن لإظهار وجه معاوية السّلمي، يعني أظهر الخداع وأظهر الدّناءة، ولو كان قد حارب الإمام حتى يقتل مثلاً لما كان يظهر سباب علي-عليه السلام- على المنابر والإمام الحسن جالس تحته، في الوقت الذي كان الشّرط في الصّلح أن لا يُسبّ علي -عليه السلام-؟ وما كان ينكشف تجاوز الشّرط الآخر الذي شرطه الإمام في الصّلح في عدم التّعرّض للإمام الحسن وأقربائه وشيعة علي -عليه السلام-؟
هذه كلّها لم تكن تظهر لو لم يُسالم الإمام معاوية ويتصالح معه فصلحه معه بين حقائق الأمور ووقائعها ووضعها أمام أعين النّاس ليعرفوا مَن الإمام ومَن معاوية؟
وإن لم يكن هناك مصلح كالإمام الحسن، لما كان يظهر وجها معاوية (وجه سلمه ووجه حربه)، لذا فالإمام الحسن-عليه السلام- سيبقى نهجاً وخطّاً يقف أمام كل من يأتي من الطّغاة إلى يوم القيامة يتمثّل بصورة معاوية، وبذلك يتعلّم المصلحون طريق المقاومة،

كيف يواجه الطغاة

نعود إلى مبحثنا وهو أنّ الطغاة على نموذجين: طاغٍ مخادع ودنيء ونسمّيه بالطّاغي

الماكر؛ لأنّ الطّاغي الماكر يجمع بين الشّيئين، وهكذا طاغي واجهه الإمام الحسن -عليه السلام- فهو إمام لمن واجه مثل هذا القسم من الطّاغي إلى الأبد؛ لأنه يأتي في التّاريخ الطّغاة من نماذج معاوية، ويحتاج إلى المصلحين من نماذج الإمام الحسن -عليه السلام-، أمّا الطّغاة من نماذج يزيد، فهو يحتاج إلى المصلحين من نماذج الإمام الحسين -عليه السلام-.

إنَّ من أدقّ الأعمال التي قام بها الإمام الحسين -عليه السلام- أمام يزيد، أنّه أرسل مسلم بن عقيل-عليه السلام- وحده إلى الكوفة، قسم من الناس يتعجبون من ذلك كما أنّهم يتعجبون، لماذا فرّق الإمام أصحابه (بعكس ما يفعله القادة دائماً في الحروب حيث يجمعون الأصحاب)، حيث كان الإمام الحسين -عليه السلام- من مكة يقول لهم أذهبوا أذهبوا، أذهبوا.. وتفرّقوا حتى ليلة عاشوراء، عجباً هل هذا الإنسان يريد الحرب؟ نعم، هذا الإنسان يريد الحرب ويفهم كيف يحارب؟ وفي الحقيقة إذا كان الإمام الحسين-عليه السلام- يفعل غير ذلك، كنّا نسأل لماذا الإمام الحسين حارب في الوقت الذي كان يعلم أنّه بكل الصّور مقتول؟ فإنّ دولة بني أمية دولة قوية وسيعة عريضة ضاربة.

وذلك لأنّ الإمام الحسين -عليه السلام- أراد أن يحارب الطّاغي يزيد، وقلنا سابقاً أنّ يزيد شرس في الحرب، وفي نفس الوقت مستهتر في السّلم، سلمه واضح لا يحتاج إلى توجيه، سلم يزيد الخمر وأبا قيس ولعب القردة والزّنا والاستهتار وما أشبه، حتى أنّ المؤرخين ذكروا أنّ معاوية كان مريضاً شديد المرض في حالة الاحتضار، وكان يزيد في بعض القرى يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، (يذكر هذه القصّة مروج الذّهب)، إلى هذا الحد مستهتر أنّه خارج البلد لا يقيم لأبيه ولا لخلافته ولا لأنّه يموت، ولا لأنّه خلّفه وولّاه عهده، فسلّم يزيد معروف لا يحتاج إلى الكشف، وإنّما حرب يزيد يحتاج إلى الكشف، لأنّ فيه درس، والدّرس هنا كيف يقاوم الشّراسة، وأين تظهر الشّراسة؟ الشّراسة تظهر إذا كان المصلح قليل العدد، الشّراسة لا تظهر مع كثرة العدد، الشّراسة دائماً تظهر مع قلّة العدد، الشّاعر يقول كما في السّيوطي:

والـــــذئب أخشـــــاه أن مـــــررت به وحـــــدي

الذئب شرس، لكن أين تظهر شراسته إذا كنت وحدك، أما إذا كنت مع جماعة لا تظهر شراسته، إذا كان مع الإمام الحسين -عليه السلام- عشرة آلاف إنسان، وحاربوا مع الأمويين، الأمويون ما كانوا يتمكنون أن يصنعوا بالإمام الحسين-عليه السلام- هذا الصّنيع الذي صنعوا به وإن كانوا يتمكنون من قتله ما كانت تظهر شراسة يزيد، وإذا كان مع مسلم بن عقيل حين جاء من المدينة (أو جمع أنصاراً مخلصين) ألف إنسان ما كان ابن زياد يتمكن أن يشنقه مقلوباً في كناسة الكوفة، إنّما تظهر مع قلّة عدد المصلحين فإنّ كثرة المصلحين تلقي الرّعب في نفسه، أنظروا يزيد نفسه لمّا وجد الإمام في الشّام كم ناصراً له بدّل الأمر، وقال إنّي ما فعلت هذا الشّيء.

فالإمام الحسين -عليه السلام- كان متعمّداً أن يكون قليل العدد، حتى يظهر آخر قطرة من شراسة الحكام الطّغاة، يعني أنّك في المستقبل أيّها المصلح لعلّك تقول أنّ هذا الحاكم الطّاغي شرس فلا أقاومه، وأنا قابلت حاكماً شرساً وقد قاومته، وإلّا لو لم يكن الإمام الحسين -عليه السلام- هكذا، لقيل أنّه من الممكن أنّ الإمام الحسين-عليه السلام- لو كان يرى هذا النّوع من الشّراسة ما كان أقدم؟ كلا.

الإمام الحسين -عليه السلام- بصورة عمدية وبتخطيط من أعجب التّخطيطات دقّة، أظهرها كلّها من قلب يزيد، حتى يكون إماماً للذين يأتون من بعده ويقابلهم طاغي بليد من قبيل يزيد.

دور المعصوم -عليه السلام- واستمرار الرّسالة

إذاً فقول رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، ليس بالمعنى القدسي فقط، وليس أنّ الرّسول -صلى الله عليه وآله- يريد أن يبيّن أنّهما سيّدان عالمان جليلان تعلّموا منهما المسائل والأحكام، وإن كان هذا الشّيء صحيحاً أيضاً، فالإمامان الحسن والحسين-عليهما السلام- دورهما تركّز في مقابلة الطغاة .

أمّا الإمام الصادق -عليه السلام- دوره دور الفقه، لماذا؟ لأنه مقابل الإمام الصادق -عليه السلام- الفقهاء، فدور الإمام الصادق -عليه السلام- دور الفقهاء، ولذا كان

على الإمام الصادق أن يظهر الفقه، وقد قلنا إنا نحتاج إلى الكثير من البحث حتى نبيّن بقدر فهمنا حول كل واحد واحد من الأربعة عشر المعصومين (الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- والزهراء والأئمة -عليهم الصلاة والسلام-) وإنه كيف كل واحد من هؤلاء قائد ومعلم إلى الأبد، وإن كلَّ دور يشبه دور الرسول -صلى الله عليه وآله- أو فاطمة الزهراء أو دور علي أو دور الحسن، أو دور الحسين -عليهم السلام-، أو سائر الأئمة إلى دور الإمام المهدي-عجل الله فرجه-، فعلى المصلح أن يعمل مثل ذلك المعصوم المشابه دوره لدوره، وإنّ أي دور يحتاج إلى مصلح من هذا الأنموذج، حتى إذا كان المصلح على زيادة أو نقيصة، أورث الخلل، وبذلك ظهر:

١ - إنّه كيف تفرز المجتمعات الطّغاة؟

٢ - نفسية الطّغاة.

٣ - كيف يجب أن يقابل كل طاغ.

وحديث رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، لعلّه يشير إلى بعض ما ذكرنا.

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الحسن عليه السلام

الأفضلية في الشّجاعة

السيد علي الموسوي
باحث اسلامي

٥٥
صدى المجتبى
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

لا شك أنّ الشّجاعة الأدبية اللفظية لا تقلُّ شأناً عن الشّجاعة الجسديّة، فالإمام الحسن-عليه السلام- كان شجاعاً مقداماً في ميدان الحرب حيث كان يُقاتل في سبيل الله-سبحانه-، وفي مجلس الطّغاة حيث كان يكافح بالكلمة الطّيّبة والحقيقة القاطعة، ولا يخاف في الله لومة لائم. وتلك شجاعة مثلى؛ لأنّ البطولة الحقيقية هي التي تناصر الحق، وتقطع الباطل والشر، بالسّيف أو بالكلمة.

أ- الشّجاعة الجسديّة

كان الحسن -عليه السلام- أشجع المقاتلين، وقد انتقلت تلك الخصلة الكريمة إليه من جدّه المصطفى محمد -صلى الله عليه وآله-، ومن جده أبي طالب-عليه السلام- شيخ البطحاء، وأبيه علي بن أبي طالب-صلوات الله عليه- أسد الله وأسد رسوله، وعمّيه سيدي الشّهداء حمزة وجعفر-عليهما السلام-. وكانت له مواقف في الجمل، وصفين، والنّهروان، ومظلم ساباط (حيث وقعّت معاهدة الهدنة فيه)، وهو الذي "إذا سارَ، سارَ الموتُ حيثُ يسير" على حد تعبير عدوه فيه.

وتؤكّد جميع الرّوايات التأريخية على شجاعة الإمام الحسن -عليه السلام- وبأسه في صفين وغيرها من المعارك. فقد روي في نهج البلاغة أنّ الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- قال وقد رأى الحسن -عليه السلام- يتسرّع الى الحرب في بعض أيّام صفين: (**إملِكوا عني هذا الغُلامَ لا يُهدَّني...**) . وقوله -عليه السلام-: إملكوا عني، أي خذوه بالشّدة، وأمسكوه لئلا يهدني أي يهدمني ويقوض أركان قوّتي بموته في الحرب.

ومن كلام قاله الحسن -عليه السلام- في ساحة الحرب في صفّين يدعو فيها النّاس إلى قتال معاويّة، قال -عليه السلام-: **(إنَّ مما عظّم الله عليكم من حقّه، وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة.**

ونحن إنّما غضبنا لله ولكم، فإنّه منّ علينا بما هو أهله، أن تشكر فيه آلاؤه وبلاؤه ونعماؤه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصّدق يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربّنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمرٍ واحدٍ إلا اشتدّ أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوّكم وجنوده ولا تخاذلوا،

فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب، وإنّ الإقدام على الأسنّة، نخوة وعصمة، لأنّه لم يمتنع قوم قطّ، إلا رفع الله عنهم العلّة، وكفاهم حوائج الذلّة، وهداهم إلى معالم الملّة).

ب - الشّجاعة اللّفظية:

ذكرنا آنفاً أنّ الشّجاعة اللفظية لا تقلُّ بأساً عن الشّجاعة الجسدية. وسوف نعرض أنموذجاً لتلك الشّجاعة اللفظية في مجلس جمع أعداء أهل البيت -عليه السلام- ومبغضيهم، فكان الإمام الحسن -عليه السلام- البطل الذي كان يدافع عن الحق.

في أفضلية علي بن أبي طالب -عليه السلام- وإمامته:

في كلام للإمام الحسن -عليه السلام- في مجلس معاوية يضع فيها النّقاط على الحروف في قضية من أهم قضايا الإسلام، وهي قضية الولاية والإيمان، يقول الإمام الحسن -عليه السلام- موجّهاً كلامه إلى معاوية وحاشيته بعد أن طعنت بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-:

(الحمد لله الذي هدى أوّلكم بأوّلنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله على سيدنا محمدٍ النبي وآله وسلم. إسمعوا منّي مقالتي...

أنشدكم بالله! هل تعلمون: أنّ الرجل الذي شتمتموه صلّى إلى القبلتين كلتيهما، وأنت تراهما جميعاً ضلالةً، تعبد اللات والعزّى؟ وبايع البيعتين كلتيهما: بيعة الرّضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث؟

أنشدكم بالله! هل تعلمون: إنّما أقول حقاً، أنّه لقيكم مع رسول الله يوم بدرٍ، ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزّى، وترى حربَ رسول الله والمؤمنين فرضاً واجباً. ولقيكم يوم أحد، ومعه راية النبي -صلى الله عليه وآله-، ومعك يا معاوية راية المشركين. ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية النبي -صلى الله عليه وآله- ، ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يفلج الله حجته، ويحقّق دعوته، ويصدق إحدوثته، وينصر رايته، وكلّ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وآله- يرى عنه راضياً في المواطن كلّها؟

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- حاصر [خيبر]، ثمّ

بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار، فأمّا سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً، وأما عمر فرجع وهو يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار، غير فرّار، ثمّ لا يرجع حتى يفتح الله عليه)، فتعرّض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وعليّ يومئذٍ أرمد شديد الرّمد، فدعاه رسول الله -صلى الله عليه وآله-، فتفل في عينيه، فبرأ من الرّمد، فأعطاه الرّاية، فمضى ولم يثنِ حتى فتح الله عليه، بمنّه وطوله، وأنت يومئذٍ بمكة عدوّ لله ورسوله، فهل يسوى بين رجلٍ نصح لله ولرسوله، ورجلٍ عادى الله ورسوله!؟

ثم أقسمُ بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكنّ اللسان خائف، فهو يتكلّم بما ليس في القلب.

[ثم] أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّ رسول الله استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلّم فيه المنافقون، فقال: (لا تخلفني يا رسول الله. فإنّي لم أتخلّف عنك في غزوةٍ قط)، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (أنت وصيّي وخليفتي في أهلي، أنت بمنزلة هارون من موسى) ثم أخذ بيد عليّ: ثم قال: (أيّها الناس! من تولّاني فقد تولّى الله، ومن تولّى عليّاً فقد تولاّني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ عليّاً فقد أحبني)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّ رسول الله قال في حجّة الوداع: (أيّها الناس! إنّي قد تركت فيكم مالم تضلّوا بعده، كتاب الله فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وأعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبّوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وإنّهما لم يزالا فيكم، حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة).

ثم دعا - وهو على المنبر - عليّاً، فاجتذبه بيده فقال: (اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، اللهمّ من عادى عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السّماء مصعداً، واجعله في أسفل دركٍ من النار).

أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّ رسول الله قال له: (أنت الذّائد عن حوضي يوم القيامة!

تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّه دخل على رسول الله في مرضه الذي توفّي فيه، فبكى رسول الله، فقال عليّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: (يبكيني أنّي أعلم: أنّ لك في قلوب الرّجال من أمّتي ضغائن، لا يبدونها حتى أتولّى عنك)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّ رسول الله حين حضرته الوفاة، واجتمع أهل بيته قال: (اللهمّ هؤلاء أهلي وعترتي، اللهمّ وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم) وقال: (إنّما مثلُ أهلِ بيتي فيكم كسفينة نوحٍ، من دخل فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق)؟

أنشدكم بالله! أتعلمون: أنّ أصحابَ رسول الله قد سلّموا عليه بالولاية في عهد رسول الله وحياته؟

أنشدكم بالله: أتعلمون أنّ عليّاً أوّل من حرّم الشّهوات كلّها على نفسه، من أصحاب رسول الله فأنزل الله عزّ وجلّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ).

وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن...

إنّما الناس ثلاثة:

مؤمن يعرف حقّنا، ويسلّم لنا، ويأتمّ بنا، فذلك ناجٍ محب لله ولي.

وناصب لنا العداوة يتبرّأ منّا ويلعننا، ويستحلّ دماءَنا، ويجحد حقّنا، ويدين لله بالبراءة منّا، فهذا كافر مشرك فاسق، وإنّما كفر وأشرك من حيث لا يعلم، كما سبّوا الله عَدْوَاً بغير علم، كذلك يشرك بالله بغير علم.

ورجل أخذ بما لا يختلف فيه، وردّ علّم ما أشكل عليه إلى الله مع ولايتنا، ولا يأتمّ بنا، ولا يعادينا، ولا يعرف حقّنا، فنحن نرجو أن يغفر الله له، ويدخله الجنّة، فهذا مسلم ضعيف.

وأنشدكم بالله! هل تعلمون: أنّ رسول الله بعث إليك، لتكتب لبني خزيمة، حين

أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف إليه الرسول فقال: هو يأكل، فأعاد الرّسول إليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول، ويقول هو يأكل، فقال رسول الله، (اللهمّ لا تشبع بطنه)، فهي والله في نهمتك، وأكلك إلى يوم القيامة؟

أنشدكم بالله! هل تعلمون: إنّما أقول حقّاً إنّك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جملٍ أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله، الرّاكب والقائد والسّائق فكان أبوك الرّاكب وأنت السّائق. وأخوك هذا القاعد القائد؟

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون، أنّ رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:....

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله فقال: يابن أخي هل علينا من عين؟ فقال: لا، فقال أبو سفيان، تداولوا الخلافة فتيان بني أميّة، فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنةٍ ولا نار.

وأنشدكم بالله! أتعلمون أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يابن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد فخرج، حتى إذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلونا عليه، صار بأيدينا وأنتم رميم، فقال الحسين بن علي: قبّح الله شيبتك، وقبّح وجهك، ثم نتر يده وتركه).

وينبغي الالتفات إلى أنّ خطبة الإمام الحسن -عليه السلام- لها قواسم مشتركة مع خطبة أخيه الحسين -عليه السلام- في الحج الأخير، قبل موت معاوية بسنة.

الدّلالات:

١- إنّ في خطبة الإمام الحسن -عليه السلام- من الجرأة والشّجاعة ما يعجز القلم عن وصفها. فهي تفضح أسرار معاوية وأبيه في حربهما ضد الإسلام، أمام حشد من حاشية معاوية كعمرو بن عثمان، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وزياد بن سمية.

٢- فحوى كلام الإمام الحسن -عليه السلام- يعبّر عن أصول ولاية أهل البيت- عليهم السلام-، وأنّ الخلافة جُعلت فيهم، ولا يحق لغيرهم أنْ يدّعيها إلا ظلماً.

٣- يصنّف الإمام-عليه السلام- المسلمين إلى ثلاثة أصناف:

الأوّل: من عرف حق أهل البيت -عليهم السلام-، وسلّم لهم فهو محبٌّ لله، وليٌّ من أولياء الله.

الثّاني: من نصب العداوة لهم -عليهم السلام- فهو كافر، مشرك، فاسق.

الثّالث: من لم يعرف حق أهل البيت -عليهم السلام-، إلا أنّه لم ينصب العداوة لهم، فهو مسلم ضعيف، يرجو أن يغفر الله له.

٤- ذكر الإمام الحسن -عليه السلام- في أبيه علي -عليه السلام- جملة من الصّفات الكريمة، منها: أسبقيّته إلى الإسلام، وجهاده مع رسول الله -صلى الله عليه وآله- ضد المشركين، واستخلافه على المدينة من قبل النبي -صلى الله عليه وآله-، وإعطاؤه الولاية بقوله -صلى الله عليه وآله-: (اللهمّ والِ من والاهُ وعادِ من عاداهُ)، في الوقت الذي كان فيه رسول الله -صلى الله عليه وآله- يدين معاوية بن أبي سفيان بالتّخلف عنه -صلى الله عليه وآله-، وكان -صلى الله عليه وآله- يلعن أبا سفيان لمحاربته الإسلام.

الهوامش:

١. شرح نهج البلاغة (م)/ ج ٢/ ص ١٨٦.
٢. بحار الانوار/ ج ٣٢/ ص ٤٠٥.
٣. في الأصل مكتوب: بني قريظة وبني النضير، ولعله خطأ في النقل.
٤. سورة المائدة/ الآية ٨٧- ٨٨.
٥. قوله تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) الأنعام: ١٠٨ - يعني فكما سب المشركون الله عَدْوَاً بغير علم، يشرك هؤلاء بالله من غير علم.
٦. (كتاب) سليم بن قيس/ ص ١٩٧.
٧. ذكره ابن عبد البر في (الإستيعاب) ج ٤/ ص ٨٧.
٨. الاحتجاج/ ص ١٣٨.
٩. بحار الأنوار/ ج ٣٨/ ص ١٤٢.

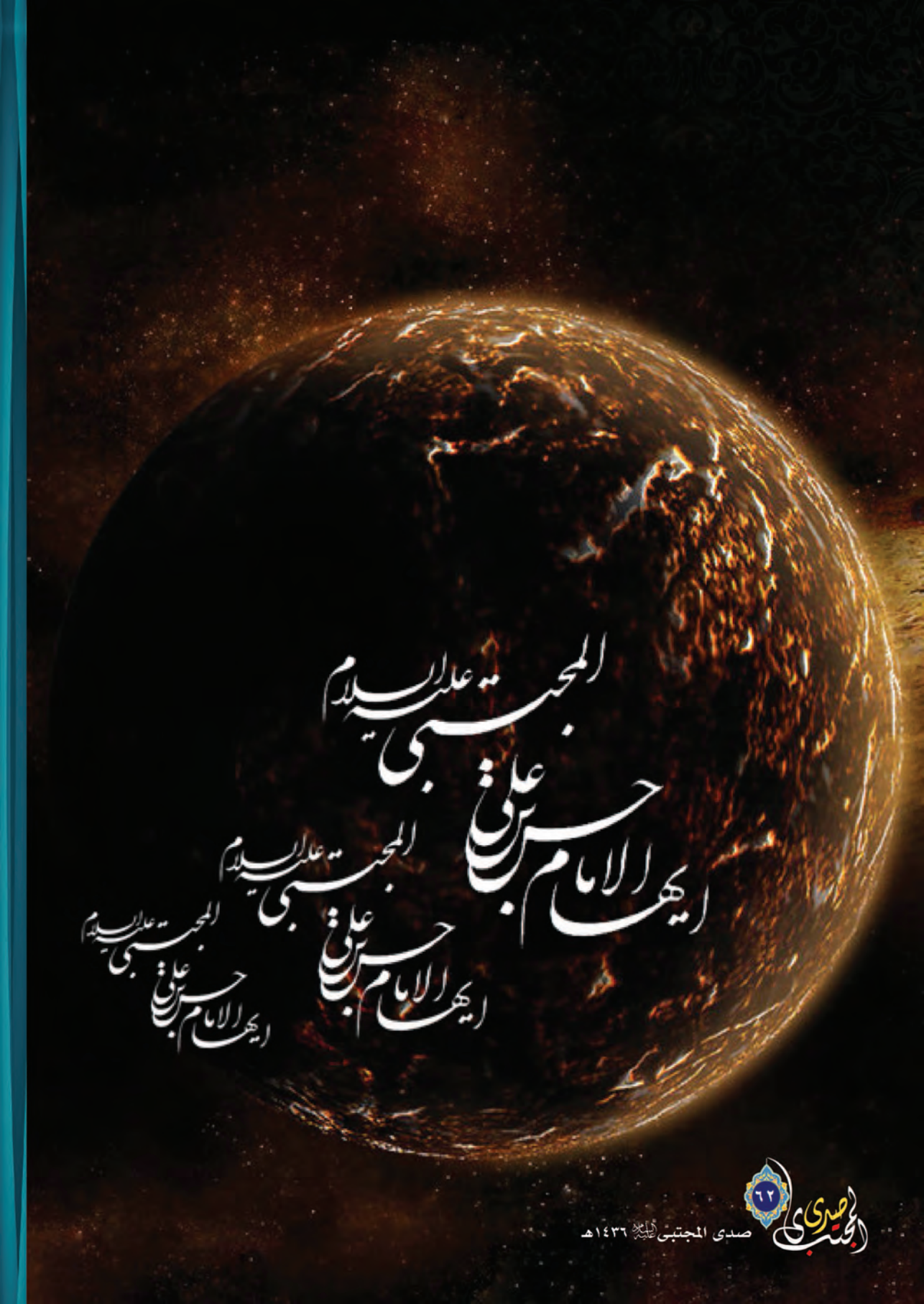
ايها الامام حسن بن علي المجتبى عليه السلام
ايها الامام حسن بن علي المجتبى عليه السلام
ايها الامام حسن بن علي المجتبى عليه السلام
ايها الامام حسن بن علي المجتبى عليه السلام

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الصِبا والإمامة

السيد زهير الحسيني/ باحث إسلامي

٦٣
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

يستغرق قلب المعصوم-عليه السلام- في فيض العلم الإلهي والمعرفة الحقَّة، ولا يشتغل إلا بالأُنس بعبادة ربّه، وعدم اللهو، كما في الرّواية عن معاوية بن وهب، قال: قلتُ لأبي جعفر -عليه السلام- [الإمام الباقر -عليه السلام-]: ما علاقة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال: (**طهارة المولد، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب**)(١)، ولابد أن يتزين بلباس القدسية والاحترام.

فالإمام المعصوم -عليه السلام- في الصّبا يكون حائزاً على العلم والحكمة، وقد أرسل الله -سبحانه- يحيى -عليه السلام- بالنّبوة صبيّاً، وجعل عيسى -عليه السلام- في المهد نبياً مرسلاً. وفي الرّواية عن أهل البيت -عليهم السلام-: (**إذا ولد المولود منّا، رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد، وما يحدث في البلدان**)(٢). فهناك قوّة قدسية مودعة في نفس النّبي -صلى الله عليه وآله- أو الإمام المعصوم -عليه السلام-.

وسوف نبحث في هذا الموضوع بحث زعم لعب الحسنين -عليهما السّلام- ودلالاته الشّرعيّة والعقائديّة.

ولكن قبل ذلك، نعرض موضوع الأنبياء -عليهم السلام- والصّبا في القرآن الكريم. وفيه ثلاثة أنبياء: يوسف، ويحيى، وعيسى -عليهم السلام-.

١- النّبي يوسف -عليه السلام-:

قال -تعالى- على لسان إخوة يوسف-عليه السلام-: (**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**)(٣). قال في (التبيان): "وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصّغير في اللّعب، ولا ذمّ"(٤). وفي (مجمع البيان): "وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصّغير في اللعب"(٥). وفي (زبدة البيان): "... أو يقال: إنّ المراد اللعب الخاص، وهو الاستباق والإنتضال، حتى يعوّدوا أنفسهم لقتال العدو، بدليل: (**قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا**)(٦) على أن في إباحة الاستباق تأمّلاً، إلا أن يريد الاستباق بالفرس ونحوه، ولكنّ الظاهر أنّ الاستباق بالأقدام، فيحتاج إلى جعله من خصائص دين يعقوب -عليه السلام-. قال في مجمع البيان: أراد به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام، وقد روي: (أنّ كلَّ لعب حرام إلا

ثلاثة: لعب الرجل بقوسه، وفرسه، وأهله). والسّند غير ظاهر، وفي المستثنى والمستثنى منه تأمل"(٧).

والمتعارف بين المفسّرين: أنّ يعقوب -عليه السلام- كان ساكناً في البدو، وكان له إثنا عشر ابناً من أربع زوجات، كان عشرة منهم كباراً، عصبة أولوا قوّة، وكانت رحى حياته تدور عليهم، وكان البقية أخوين صغيرين لنفس الأم، وهما يوسف وأخوه. وكان يعقوب -عليه السلام- يحبّهما حبّاً شديداً، ويتفرس فيهما آثار الكمال والتّقوى. فاقترحوا على أبيهم: (**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(٨).

أي إنّنا ناصحون لك، حافظون له. فإن كنت تخاف عليه من سوء يصيبنا فإنّا عصبة أقوياء، وإن كنت تخاف عليه منّا، فإنّا نعطيك الضّمان بالحفاظ عليه. وعندما رجعوا، ادّعوا أنّ الذّئب قد أكله: (**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**)(٩). وهي تعني أنّ يوسف لم يذهب ليلعب معهم، وإنّما كان هدف ذهابه معهم هو معاشرتهم ومصاحبتهم. ولذلك قالوا: (يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا)(١٠).

قال الزمخشري في (الكشّاف): "نستبق أي نتسابق، والافتعال والتّفاعل يشتركان كالإنتضال والتناضل، والارتماء والتّرامي وغير ذلك. والمعنى نتسابق في العدْو أو في الرّمي"(١١).

والحاصل أنّهم عندما ذهبوا للتسابق، تركوا يوسف عند متاعهم ورحالهم؛ لأنّهم ابتعدوا عنها، فكان لابدّ من حافظٍ يبقى لحفظها، فأكله الذّئب، كما زعموا. وهذا يدلُّ على عدم لعب يوسف معهم، وهو صبي. وفي ذلك دلالة على أنّ المرسل -عليه السلام- لا يلعب لعب اللهو، وإضاعة الوقت، وإن كان صبيّاً.

٢- النّبي يحيى -عليه السلام-:

أثنى الله -عز وجل- عليه ثناءً جميلاً، فكان -عليه السلام- مصدِّقاً بكلمة الله (نبوة عيسى عليه السلام)، وكان سيّداً، وحصوراً (أي لا يأتي النّساء)، وكان نبيّاً، ومن الصّالحين. ومدح بيت زكريا -عليه السلام- بقوله: (**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**

وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(١٢). وكان في بيت زكريا: يحيى وأبوه (زكريا) وأمه.

قال -تعالى-: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)(١٣). والمعنى: أمر الله -تعالى- يحيى بأخذ الكتاب بقوة التحقق بما فيه من المعرفة، والعمل بما فيه من أحكام. وآتيناه الحكم صبيّاً، تعني إنّا أعطيناه العلم بالمعارف الحقيقية، المخبوءة تحت ستار الغيب، وهو صبي لم يبلغ الحلم بعد.

وفي مجمع البيان: "عن معمر قال: إنّ الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب. قال: ما للّعب خلقنا، فأنزل الله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا -عليه السلام-"(١٤).

وفي الكافي بإسناده عن علي بن أسباط قال: (رأيت أبا جعفر -عليه السلام- وقد خرج إليَّ، فأجدتُ النظر إليه، وجعلتُ أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد، فقال: يا علي إنّ الله احتجَّ في الإمامة بمثل ما احتجَّ به في النبوّة، فقال: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)(١٥)، (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)(١٦)، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابنُ أربعين سنة)(١٧).

٣- النّبي عيسى -عليه السلام-:

قوله تعالى بشأن عيسى -عليه السلام-: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ)(١٨). وهي آية خارقة للعادة، لأنّه كلّمهم عندما أتت به أمّه مريم -عليه السلام- بعد ولادته مباشرة، قال -تعالى-: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)(١٩). والظّاهر أنّه كان يُكلّمهم، وهو في المهد، كلاماً تامّاً يعتني به العقلاء عادة.

روى ثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ) في (الكافي): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن

محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: سألتُ أبا جعفر -عليه السلام-: أكان عيسى بن مريم -عليه السلام- حين تكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟

فقال: (**إنّ عيسى -عليه السلام- كان يومئذٍ نبيّاً، حجّة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: (...إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**)(٢٠).

قلت: فكان يومئذٍ حجة الله على زكريا في تلك الحال، وهو في المهد؟

فقال: **كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم، حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلّم حتى مضيت له سنتان، وكان زكريّا الحجة لله عزّ وجل على الناس بعد صمت عيسى بسنتين، ثم مات زكريّا، فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله عز وجل: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**)(٢١).

فلمّا بلغ عيسى -عليه السلام- سبع سنين، تكلّم بالنّبوّة والرّسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى النّاس أجمعين، و[لا] تبقى الأرض - يا أبا خالد - يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس، منذ يوم خلق الله آدم -عليه السلام- وأسكنه الأرض)(٢٢).

حكمة أحد صبية آل محمد -صلى الله عليه وآله-:

وللتدليل على حكمة الصّبي من آل محمد -صلى الله عليه وآله- أورد مصنّف كتاب (روض الرّياحين في مناقب الصّالحين) هذه الرّواية عن أحد أبناء الإمام الحسين -عليه السلام-: كان الرّاوي يمشي في بعض شوارع البصرة فرأى بعض الصّبيان يلعبون، وميّز صبيّاً ينظر إليهم ويبكي، فظن أنّه يتحسّر على ما في أيدي الصّبيان ولا شيء معه فيلعب به. فسأله إن أراد أن يشتري له ما كانت تلعب به الصّبيان. "فرفع الصّبي بصره إليّ وقال: **يا قليل العقل، ما للّعب خُلقنا.**

فقلتُ: أي بني، فلماذا خلقنا؟

قال: للعلم والعبادة.

قلت: من أين لك ذلك بارك الله تعالى فيك؟

قال: من قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)(٢٣).

قلت له: أي بني، إنّي أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدّنيا تجهز بانطلاق ... مشمّرة على قدم وساقِ
فلا الدّنيا بباقية لحيّ ... ولا حيّ على الدّنيا بباقِ
كأنّ الموت والحدثان فيها ... إلى نفس الفتى فرسا سباقِ
فيا مغرور بالدّنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوساقِ

ثم رمق السّماء بعينه، وأشار إليها بكفّيه، ودموعه تنحدر على خدّيه، وأنشأ يقول:

يا من إليه المبتهل ... يا من عليه المتّكلْ
يا من إذا ما آملٌ ... يرجوه لم يُخطِ الأملْ

قال: فلمّا أتمّ كلامه خرّ مغشيّاً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري، ونفضت التّراب عن وجهه بكمي، فلما أفاق قلت: أي بني، ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟

قال: ... إنّي رأيت والدتي توقد النّار بالحطب الكبار، فلا تتّقد لها إلا بالصّغار، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم.

فقلت له: أي بني، أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

غفلتُ وحادي الموت في أثري يحدو ... فإن لم أرح يوماً فلا بدّ أن أغدو
أنعّمُ جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من لباس البلا بُدُّ
كأني به قد مرَّ في برزخ البلا ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحدُ
وقد ذهبت مني المحاسن وانمحتْ ... ولم يبقَ فوق العظم لحم ولا جلدُ
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى ... وليس معي زادٍ وفي سفري بُعدُ
وقد كنتُ جاهرت المهيمن عاصياً ... وأحدثت أحداثاً وليس لها ردُّ

وأرخيت خوف الناس ستراً من الحيا ... وما خفت من سرّي غداً عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقتُ بحلمه ... وأن ليس بعفو غيره فله الحمدُ
فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلا ... ولم يك من ربي وعيد ولا وعدُ
لكان لنا في الموت شغل وفي البلا ... عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشدُ
عسى غافر الزلاّت يغفر زلّتي ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبدُ
أنا عبد سوء خنت مولاي عهده ... كذلك عبد السوء ليس له عهدُ
فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي ... وتارك لا يقوى لها الحجر الصلدُ
أنا الفردُ عند الموتِ والفردُ في البلا ... وأُبعث فرداً فارحم الفردَ يا فردُ

قال الرّاوي: فلمّا فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصّبي، فلمّا أفقت نظرت إلى الصّبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟... فقيل لي: ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب (رضوان الله عليهم أجمعين)"(٢٤).

إنّ النّبوة والإمامة لا تخضعان لشروط السّنّ، فقد يهبُ الله -سبحانه- الحكمة لصبي، ويلهمه الإدراك الكامل للدّين، فيكون حجّة لمن سواه من البشر. بل أنّ القوّة القدسيّة المودعة في نفس النّبي -صلى الله عليه وآله-، أو الإمام المعصوم -عليه السلام- تجعل إدراكه أكبر من إدراك الكبير في السّن. وقد كانت لنا عبرة في أنبياء ورسلٍ كيوسف، ويحيى، وعيسى -عليهم السلام-. وكذلك لنا عبرة بأئمّة هدى كالحسن والحسين -عليهما السلام-. فقد كانوا يحملون ثقل الرّسالة ومسؤوليتها، وهم في مراحل الصّبا وعمر الورود.

الهوامش:

١- الكافي/ ج ١/ ص ٣١١.

٢- الحدائق الناضرة - المحقق البحراني/ ج ٥/ ص ٣٣٨.

٣- سورة يوسف/ الآية: ١٢.

٤- التبيان / الشيخ الطوسي/ ج ٦/ ص ١٠٥.

٥- مجمع البيان/ الطبرسي/ ج ٥/ ص ٣٦٦.
٦- سورة يوسف/ الآية ١٧.
٧- زبدة البيان/ ص ٥٠٧ - ٥٠٨.
٨- سورة يوسف/ الآية ١٢.
٩- سورة يوسف/ الآية ١٧.
١٠- سورة يوسف/ الآية ١٧.
١١- الكشاف/ ج ٢/ ص ٤٥٠.
١٢- سورة الأنبياء/ الآية ٩٠.
١٣- سورة مريم/ الآية ١٢.
١٤- مجمع البيان/ ج ٦/ ص ٤٠٨.
١٥- سورة مريم/ الآية ١٢.
١٦- سورة الأحقاف/ الآية ١٥.
١٧- الكافي/ ج ١/ ص ٣٨٤.
١٨- سورة آل عمران/ الآية ٤٦.
١٩- سورة مريم/ الآية ٢٧-٣١.
٢٠- سورة مريم/ الآية ٣٠-٣١.
٢١- سورة مريم/ الآية ١٢.
٢٢- شرح أصول الكافي/ ج ٦/ ص ٣٧١. الرواية معتبرة.
٢٣- سورة المؤمنون/ الآية ١١٥.
٢٤- شرح إحقاق الحق/ السيد المرعشي/ ج ٢٩/ ص ٦٥، نقلها عن كتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) - الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي اليمني. الحكاية السادسة والخمسون ص ٦٧. ونقلها أيضاً عن: ابن حجر في الصواعق المحرقة (راجع شرح إحقاق الحق ج ١٢ ص ٤٧٣، ج ١٩ ص ٦٢٠، ج ٢٩ ص ٦٧).

الحسين

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

بين عصر الإمام الحسن عليه السلام وعصر الغيبة الكبرى قراءة في أوجه التّشابه والاختلاف

علي الفحّام/ باحث اسلامي

٧٣
صدى المجتبى
صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ

مثّلت الفترة الزّمنية الممتدّة بين عامي ٤٠ - ٦٠هـ حقبة صعبة في تاريخ التّشيّع اختزنت بين طيّاتها كلَّ تراكمات الماضي القريب وإرهاصات الفتن التي عصفت بالأمّة الإسلامية بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وأوضحت مدى هشاشة الشّخصيّة الإسلامية في علاقتها مع أئمة أهل البيت -عليهم السلام- بحكم قلّة الوعي وعدم الاستيعاب الكامل للعقيدة القرآنية في التّعامل مع مفهوم الولاية والطّاعة لولاة الأمر المنصبين من قبل الله -تعالى-.

لقد أظهرت تجربة الأربع سنوات التي خاضها أمير المؤمنين-عليه السلام- في الكوفة أنّ العقليّة الكوفيّة تحتضن تناقضات فكريّة حادّة تكفي لإجهاض أي مشروع للتغيير مهما كانت خلفيّته النّظريّة متينة، ومهما كانت قيادته حكيمة ومخلصة.

والمتتبّع لخطب أمير المؤمنين -عليه السلام- في نهج بلاغته يستشعر أنّ الإمام -عليه السلام- استنفذ كلَّ وسعه في إصلاح رعيّته المخدوعة بألوان الفتن فكان آخر أيّامه يندب الخلّص من شيعته الذين مضوا قبله فينادي مِن على منبر الكوفة وهو يحرّض النّاس على القتال: (**أين إخواني الذين ركبوا الطّريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشّهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة... قال نوف [البكالي]: فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذّئاب من كلّ مكان**)(١).

ومن الطّبيعي جدّاً أن يُشكّل استشهاد أمير المؤمنين -عليه السلام- منعطفاً يترك بصمات خطيرة على واقع الأمّة الإسلاميّة، وفسح هذا الغياب المفاجئ لأمير المؤمنين -عليه السلام- المجال لذوي الزّيغ والأهواء أن يتحرّكوا بحريّة أكبر مستغلّين حالة الصّدمة التي أصابت مفاصل البلاد الإسلاميّة مع ما تختزنه من انحطاط في الوعي وقلّة الحصانة، فكانت الشّام هي الحاضرة الأكثر حراكاً على المستوى الميداني في دفع الأمور نحو تصعيد الغرائز والعصبيّات واستغلالها في تحقيق المكاسب السّياسيّة.

حكمة القائد وشجاعة الموقف

لقد أدرك الإمام الحسن -عليه السلام- من اللّحظات الأولى لاستشهاد أبيه أمير المؤمنين -عليه السلام- أنّ خطورة الموقف تستدعي تحرّكاً سريعاً لسحب البساط من يد الأمويين لمنع توجيه ضربة قاضية للبقيّة الباقية من المؤمنين، فاستبق الإمام -عليه السلام- الأحداث بتنظيم الصّفوف، وتعبئة العساكر، وسدّ الثّغرات جرياً على سياسة أبيه أمير المؤمنين -عليه السلام- في سلوك خطين متوازيين من الحكمة والشّجاعة.

ويبدو أنّ حالة التّشرذم، وصراع الإرادات، وعقدة العصبية الجاهلية التي حكمت العقلية الإسلامية الفتية قد أصبحت من الخطورة بمكان بحيث يكون الحسم العسكري مع ذلك الخليط المتشظّي ضرباً من الانتحار وسلوكاً نحو شطب الخط الإيماني من المعادلة، فكان القرار الشّجاع والجريء للإمام الحسن -عليه السلام- بمصالحة معاوية بشروط هي أقرب إلى شروط الغالب المنتصر، يقول السّيّد شرف الدّين العاملي في كتابه صلح الحسن-عليه السلام- (٢): (ومن الحق أن نعترف للحسن بن علي -عليهما السلام- على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما تتوصل إليه اللباقة الدبلوماسيّة لمثل ظروفه من زمانه وأهل زمانه - بالقابليات السّياسيّة الرّائعة التي لو قُدّر لها أن تلي الحكم في ظرف غير هذا الظّرف، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزها ودوافعها، لجاءت بصاحبها على رأس القائمة من السّياسيين المحنّكين وحكّام المسلمين اللّامعين. ولن يكون الحرمان يوماً من الأيام، ولا الفشل في ميدان من الميادين بدوافعه القائمة على طبيعة الزّمان دليلاً على ضعف أو منفذاً إلى نقد ما دامت الشّواهد على بُعد النّظر وقوّة التّدبير وسمو الرّأي كثيرة متضافرة تكبر على الرّيب وتنبو عن النّقاش).

لقد أظهرت ردّة الفعل التي عبّرت عنها الشّخصيّات المقرّبة من الإمام الحسن -عليه السلام- تجاه خطوة الصّلح أنّ الحالة الشّيعيّة لم تكن بعدُ قد وصلت إلى المستوى الحقيقي من الإيمان بمبدأ الولاية والتّسليم للإمام -عليه السلام-، وربما كان الكثير من الشّخصيّات المحيطة بالإمام تنظر إليه من جانبه الأسري والأخلاقي لارتباطه برسول الله -صلى الله عليه وآله- ولنفس شخصيّته الرّفيعة التي استحقّت لقب سيّد

شباب أهل الجنة، أمّا ما وراء هذا التّصوّر من الإيمان بطاعته وإمامته المفترضة من الله -تعالى-، وأنّه ينطق عن الله، ولا يعمل إلّا بأمر الله، وأنّه الحجّة على كلِّ الخلق فهذا ما لم يكن تستوعبه الأغلبيّة السّاحقة من أتباع الإمام -عليه السلام-، ولهذا كان البعض ينظر للإمام من وجهة نظر ضيّقة جدّاً تنطلق من المصالح المرئيّة دون ملامسة العمق الغيبي الذي يحكم قرارات الإمام ويؤطّر كلّ حركاته وسكناته، وما تنقله النّصوص التّاريخية من الاحتجاجات أو الاعتراضات على وثيقة الصّلح يكشف جانباً من هذه الحقيقة، وربما انقسمت تلك الاحتجاجات على قسمين:

الأولى: مثلها تيّار الخوارج الذي كان ينشط بخلايا نائمة ضمن الحواضر والمجموعات الإسلامية والذي أعلن فتوى تكفير الإمام الحسن -عليه السلام- ونصّها (كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله)(٣)، واتّخذ الخوارج قراراً بتصفية الإمام، فكانت محاولات اغتيال الإمام -عليه السلام- في (ساباط) جزءاً من هذا المخطّط.

الثّانية: مثّلها بعض المخلصين من شيعته وأتباعه الذين لم يستطيعوا استيعاب قرار الإمام -عليه السلام- بخلفيّته العقائديّة الغيبية وتعاملوا معه كما قلنا من المنطلق الشّخصي الضّيق، والنّصوص التّالية توضّح بعض تلك الاحتجاجات:

* يقول الدّنيوري: وكان أوّل من لقي الحسن بن علي -رضي الله عنه-، فندمه على ما صنع، ودعاه إلى رد الحرب حجر بن عدي، فقال له: (يا بن رسول الله، لوددت أنّي مِتّ قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنّا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنّا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا). فاشتدّ على الحسن -رضي الله عنه- كلام حجر، فقال له (إنّي رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحمّلهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كل يوم هو في شأن)(٤).

* قال المسيب بن نجية الفزاري وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي -عليه السلام-: (ما ينقضي تعجبنا منك بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة

سوى أهل البصرة والحجاز!) فقال الحسن: كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: (والله أرى أن ترجع لأنّه نقض العهد)، فقال: (يا مسيب إنّ الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت)، فقال حجر بن عدي: (أما والله لوددت أنّك مِت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نرَ هذا اليوم فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبّوا)(٥).

* (واجتمع إلى الحسن وجوه الشّيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين علي يلومونه ويبكون إليه جزعاً ممّا فعله)(٦).

* (السلام عليك يا مذلّ المؤمنين) وهي من أشدّ وأجرأ العبارات التي قيلت للإمام الحسن -عليه السلام- من قِبل بعض المخلصين من شيعته، واختلفت المصادر حول شخصيّة قائلها فأكثر المصادر تشير إلى (سفيان بن أبي ليلى الهمداني)، ويظهر من الرّوايات أنّه ما قالها استهزاءً أو إهانة وإنّما بدافع الحميّة غير المنضبطة(٧)، في حين أشارت مصادر أخرى أنّ قائل هذه العبارة هو (حجر بن عدي الكندي) ولا تعارض بينهما لاحتمال تعدّد القائل(٨)، وقد كشفت هذه العبارات من كبار الشّخصيات الشّيعيّة أنّ الواقع العقائدي لم يكن بمستوى النّضج الكامل لإحداث تغيير شامل على مستوى البلاد الإسلامية وأنّ هناك فترة لا بدّ من اجتيازها للوصول إلى مرحلة الاندماج الكامل بين الإمام وشيعته.

إنّ الفترة التي عاشها الإمام الحسن ومن بعده الإمام الحسين -عليهما السلام- خلال حكم معاوية بن أبي سفيان في العقدين الرّابع والخامس من القرن الهجري الأول (٤٠ - ٦٠ هـ) تشترك مع عصرنا الذي نعيشه (زمن الغيبة الكبرى) ببعض الصّفات المشتركة نتيجة لوحدة الموضوع والتّشابه في الظّروف الحاكمة، وربما تختلف الغيبة الكبرى عن تلك الحقبة باختلاف الفترة الزّمنيّة، ففي حين استمرّت تلك الحقبة عقدين من الزّمن، امتدّت الغيبة الكبرى حتى يومنا أكثر من (١١٠٠) عام، وهذا يكشف أنّ حجم التّغيير المنتظر من الغيبة الكبرى أكبر وأوسع ممّا كان متوقّعاً من تلك الحقبة....

أوجه التّشابه مع الغيبة الكبرى

وبالرّغم من التّمايزات الموجودة بين الحقبتين إلا أنّ أوجهاً للتشابه يمكن أن تُقرأ على خلفيّة العناصر المشتركة، ولعلّ التّمعّن في هذه العناصر يمكّن الباحث من فكّ بعض الرّموز والعُقد التي تُحيط بالواقع المعاصر وتُساعده في تفسير الكثير من المواقف التي يمكن أن يتّخذها للتّعاطي مع الوضع الرّاهن، وهذه النّقاط المشتركة هي:

أوّلاً: إنّ كِلا الحقبتين شهدت غياب الإمام الشّرعي عن السّاحة السّياسيّة واتخاذ العزلة طريقاً للتعاطي مع الأحداث على خلفيّة انحطاط مستوى النّضج العقائدي للأمة، يقول الشّيخ المفيد: (ولمّا استقر الصّلح بين الحسن -صلوات الله عليه- وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن -عليه السلام- إلى المدينة فأقام بها كاظماً غيظه، لازماً منزله، منتظراً لأمر ربّه جل اسمه)(٩)، وهذه العزلة مشابهة من بعض الوجوه لحالة الغيبة التّامّة التي يعيشها الإمام المهدي -عليه السلام- منذ ألف ونيف من السنين، ويبدو أنّ هذه العزلة هي العلاج النّاجع لحالة الاهتزاز العقائدي الذي دبّ في جسد الأمة - ولا يزال - تحت تأثير السّياسة وتيّارات الانحراف الفكري، وتعمل العزلة في جانبين: الأوّل يستهدف تنمية الوعي وتعريض المجتمع لحالة من التّصحيح الذّاتي المعتمد على تراكم المعاناة وتنامي الصّراع الدّاخلي مع قوى الانحطاط العقائدي، والثّاني يستهدف تعرية الأنظمة الفاسدة التي تحكم بأسماء وعناوين مختلفة وتحت شعارات متلوّنة للتّغطية على الشّرعية المستباحة لأهل البيت -عليهم السلام-.

ثانياً: صدور الأوامر من قبل الأئمة -عليهم السلام- في كلا الحقبتين بوجوب الكف والصّبر وعدم الخروج على السّلطان الجائر، وهذه الأوامر هي في الحقيقة انعكاس لحالة التّبعيّة التي يجب أن تحكم العلاقة بين الشّيعة وأئمتهم، والتي تعكس المفهوم السّليم للتمسّك الوارد في حديث الثّقلين الشّريف، وهذا المعنى مستفيض في صحيح الآثار المنقولة عن العترة الطّاهرة، ومن تلك الرّوايات الشّريفة:

* عن أمير المؤمنين -عليه السلام- أنّه قال: **(انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا وإن**

نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا)(١٠).

* قال أبو جعفر -عليه السلام-: (إنّما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا، ومن إذا خفنا خاف، وإذا أمنّا أمن، فأولئك شيعتنا)(١١).

* عن الصّادق -عليه السلام- أنّه قال: (فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا)(١٢).

* عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: (أمر الناس بمعرفتنا والرّد إلينا والتّسليم لنا ثم قال: وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا، كانوا بذلك مشركين)(١٣).

وانطلاقاً من هذا التّأصيل وحيث أنّ العزلة وترك التّصدّي كان هو الحاكم على منهجيّة الإمامين الحسن المجتبى والإمام المهدي -عليهما السلام-، فقد أصدر الأئمة أوامر مشدّدة لشيعتهم بوجوب التزام البيت وعدم الخروج في معمعة الصّراعات السّياسيّة المشتعلة بين الأحزاب الحاكمة سواء في تلك الحقبة الصّعبة من حكم معاوية أو في زمن الغيبة.

أمّا في زمن معاوية فقد أوصى الإمام الحسين -عليه السلام- مجموعة من شيعة الكوفة، عقب توقيع وثيقة الصّلح بين أخيه الإمام الحسن -عليه السلام- ومعاوية، فقال لهم: (فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حياً) يعني معاوية (١٤).

أما في زمن الغيبة الكبرى فالرّوايات بهذا المعنى تصل إلى حدّ الاستفاضة وربما التّواتر القطعي، وهذه نماذج من تلك المرويات الشّريفة(١٥).

١ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله -عليه السلام-، قال: " إنّه قال لي أبي -عليه السلام-: لا بد لنارٍ من أذربيجان لا يقوم لها شيء، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم، وألبدوا ما ألبدنا، فإذا تحرّك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبوا، والله لكأنّي أنظر إليه بين الرّكن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد، على العرب شديد.

٢ - عن أبي المرهف، قال: " قال أبو عبد الله -عليه السلام-: هلكت المحاضير. قال:

قلت: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإنّ الغبرة على من أثارها، وأنّهم لا يريدونكم بجائحة إلا أتاهم الله بشاغل إلا من تعرّض لهم".

٣ - عن أبي بكر الحضرمي، قال: **"دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله -عليه السلام- وذلك حين ظهرت الرّايات السّود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح".**

٤- عن سدير قال: قال أبو عبد الله -عليه السلام-: يا سدير ألزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنّهار، فإذا بلغك أنّ السّفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك(١٦).

٥ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: لما دخل سلمان -رضي الله عنه- الكوفة، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها، حتى ذكر ملك بني أمية والذين من بعدهم. ثم قال: فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطّاهر ابن الطّاهر المطهر ذو الغيبة الشّريد الطّريد(١٧).

وكما شهدت هذه الهدنة المقرة من قبل الأئمة خروقات من بعض الشّيعة في زمن معاوية فقد شهدت الغيبة الكبرى أيضاً خروقات لا مجال للتفصيل فيها.

ثالثاً: ومن أوجه التّشابه المهمّة أنّ كلا الحقبتين كانتا مقدّمة للفتح الموعود، فحقبة معاوية مقدّمة لملحمة عاشوراء التي كانت فتحاً بتصريح الإمام الحسين -عليه السلام- (أمّا بعد فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)(١٨)، وأما الغيبة الكبرى فهي مقدّمة للفتح المبين الموعود على يد المنقذ الذي تنتظره الشّعوب المقهورة والثّلّة المستضعفة في أرجاء المعمورة بعد امتلاء الأرض جوراً، عن الإمام الصادق -عليه السلام-: **(يوم الفتح يوم تفتح الدّنيا على القائم لا ينفع أحداً تقربٌ بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه..)** (١٩).

ومن هنا يبدو أنّ التّشابه في المهام الموكلة للشيعة في هاتين الحقبتين ينطلق من تشابه في

الهدف وفي الدّور المرسوم، وأنّ الاختلاف في طول الحقبتين قد يعزى إلى اختلاف في سعة الدّور التّغييري المتاح لكلتيهما.

إنّ دراسة الحقبة التي عاشها الإمامان الحسنان -صلوات الله عليهما- في عهد معاوية بن أبي سفيان تؤكّد للباحث أن ليس ثمة فروقات نفسيّة أو منهجيّة في العمل القيادي بين الإمام الحسن وأخيه الحسين -عليهما السلام-، وأنّ الشّجاعة والحكمة التي امتلكها الإمام الحسن -عليه السلام- هي بعينها الشّجاعة والحكمة التي توافرت في الحسين -عليه السلام-، فكلّهم نور واحد، قال الإمام الصّادق -عليه السلام- لأبي بصير: (**يا أبا محمد كلّنا نجري في الطّاعة والأمر مجرى واحد..**)(٢١).

الهوامش:

١- نهج البلاغة/ ٢١١٠.

٢- صلح الحسن-عليه السلام-/ السّيّد شرف الدّين العاملي ص٢٦٤.

٣- الأخبار الطوال للدنيوري/ ٢١٦.

٤- المصدر نفسه/ ص٢٢٠.

٥- مناقب ابن شهر آشوب/ ١٩٧\٣.

٦- مقاتل الطّالبيين/ ٤٤.

٧- راجع: شرح النّهج لابن أبي الحديد ١٦\١٦، الأخبار الطوال ٢٢٠، مقاتل الطّالبيين ٤٤، الاختصاص ٨٢.

٨- راجع: الهداية الكبرى ١٩٢، اليقين لابن طاووس ٢٦، دلائل الإمامة ١٦٦.

٩- الإرشاد/ ٢/ ١٥.

١٠- نهج البلاغة/ شرح محمد عبده/ ١/ ١٨٩.

١١- قرب الإسناد للحميري/ ٣٥٠.

١٢- الوسائل/ ٢٧/ ٧٣.

١٣- المصدر نفسه/ ٢٧/ ٦٨.

١٤- الأخبار الطوال/ ٢٢٠.

١٥- راجع: غيبة النّعماني ٢٠٠.

١٦- وسائل الشّيعة/ ١٥/ ٥١.

١٧- أمالي الطّوسي/ ص١٦٣.

١٨- كامل الزيارات/ ١٥٧.

١٩- معجم أحاديث الإمام المهدي-عجل الله فرجه-/ ٥/ ٣٤٥.

٢٠- بصائر الدرجات/ ٤٩٩.

السلام على كريم أهل البيت

السلام عليك يا أبا محمد الحسن بن علي

يا بني أهل البيت

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الطّرق التّعليمية وأساليبها عند الإمام الحسن عليه السلام

الأستاذ يوسف مدن/ كاتب

تعدّدت أساليب التّوجيه التّربوي في الخطاب التّعليمي عند الإمام الحسن بن علي-عليه السلام- بما يتّفق مع فلسفة المشرع التّربوي الإسلامي ومنهجه، وبما يجاري التّجارب البشرية السّليمة في المجال التّربوي خلال تاريخها المتعاقب، وذلك على نحو يرضي الله -سبحانه وتعالى-، وقد لمحنا بين كلمات النّصوص التّعليمية وسطورها التي نسبها علماء الرّواية أو الحديث لأبي محمد الإمام الحسن الزّكي-عليه السلام- بعض أساليب التّوجيه التّعليمي وغايتها ضبط حركة المتعلم، وحاولنا في هذا المبحث حصر بعض ما نراه من أساليب جمعها وانتقائها دعا الإمام الحسن بن علي-عليه السلام- إلى استخدامها سواء كانت لغة هذه النّصوص حديثاً مباشراً أو تضمّنت دعوات ومعاني غير مباشرة تتيح للباحث جعلها أساليب توجيه تربوي للمتعلم، فهذه الأساليب هي جزء من خطابه التّربوي بشكل عام، ويمكننا الحديث عن بعضها.

ومن هذه الأساليب:

١. طريقة حفظ العلم بالاستظهار

في نهاية أحد أحاديث الإمام الحسن الزّكي-عليه السلام- قال لبنيه الصّغار وبني أخيه من نظرائهم في السّن: «**ومن لم يحفظ فليكتب**»(١) بعد أن أسدى لهم نصيحته الخالدة بـ «التعلم» منذ المراحل الأولى في الصّغر، وفي حديث مماثل له في المضمون ومفرداته اللّفظية مع تغيير هيّن في بعض كلماته قال-عليه السلام-: «**فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه، فليكتبه في بيته**»(٢)، وهنا يقصد حفظ العلم بالرّواية أو بالكتابة اليدوية.

لقد تنبّه-عليه السلام- في توجيه السّابق على خطر يواجه دائماً المتعلّمين ولاسيما في سنّ الصّغر إذا لم يحفظوا علمهم الذي اكتسبوه بأدواتهم المتاحة في أي مدّة من تاريخهم، ولفت-عليه السلام- أنظار صغاره وصغار أخيه الذين توجه إليهم بخطابه الذي هو وثيقة تربوية تاريخية بأنَّ «تعلم العلم» واكتسابه ليس كافياً، وإنّما لا بد من حفظه، وبخاصة أنّهم صغار قوم سيكونون في المستقبل كبار قوم، وأنّه سوف سيضمر علمهم، ويتراجع مستوى ما تعلموه في الصّغر ما لم يثبت هذا العلم ويرسخ في أذهانهم، وأمام

هذا الخطر في نمو الأفراد ((خطر ضمور العلم)) ما لم يتداركوا أمر تثبيته وترسيخه فإنَّه-عليه السلام- اقترح عليهم في توجيهه بالنّصين السّابقين لحفظه بطريقين وهما:

أ. حفظ العلم بالرّواية أو الاستظهار:

المراد بحفظ العلم روايته عن ظهر قلب واستعادة رواياته ودروسه عن ظهر قلب وقت الحاجة ونقلها وتداولها من جيل إلى جيل بعده، وقد استعمل الإمام الحسن-عليه السلام- في أحد النّصين المتقدمين جملة «ومن لم يحفظ فليكتب» للإشارة إلى الطّريقة التّقليديّة السّائدة في البيئات التّربوية منذ تاريخ طويل وهي طريقة حفظ الرّواية عن ظهر القلب وإبقائها في الذّاكرة، ثم استظهاره وقت الحاجة واللّزوم، والميزة التي تنفرد بها هذه الطّريقة المعتادة في التّاريخ التّربوي الإنساني أنّها تبقى في ذاكرة الرّاوي والسّامع الذي سيتحوّل بعد تكرارها لراوٍ آخر، وأنّ الرّاوي يستطيع استعادتها بالنّص الكامل وبمضمونها حينما يريد، وعندما يتطلب الموقف التّعليمي بطريقة سهلة وتلقائية في حديثه، وتتوقّف رواية الرّواية بموت راويها إلاّ إذا قام الرّاوي بتدريب مقصود للآخرين ليقوموا بمهمّة نقلها روايتها بحفظها واستظهارها شفويّاً، وربما يكون «حفظ» العلم بهذا الطّريق شائعاً في السّنوات الأول من تاريخنا الثّقافي الإسلامي، ثم بقي طريقاً يسلكه كثير من الرّواة في القرون القابلة.

ب. طريقة حفظ العلم بالكتابة

وإذا لم يستطع المرء حفظ العلم واستظهاره قلبياً فهناك الطّريقة الأخرى لحفظ الرّواية والعلم، وهي كتابتها كما نصح بذلك الإمام الحسن الزّكي في المقطعيين النّهائيين من النّصين السّابقين، حيث أمر-عليه السلام- بـ «الكتابة اليدوية» وترسيخ المادة المتعلمة في وثيقة مكتوبة، وعادة ما تكون الكتابة اليدوية في مجتمع الإمام إمّا بكتابة العلم في صحيفة، أو رقعة جلد، أو قطعة خشب مأخوذة من جريد النّخيل، وإذا كان أحد النّصين أمر بالكتابة دون تحديد مكانها فإنَّ النّص الثّاني قال ما لفظه: «فليكتبه في بيته» كإشارة إلى مكان التّعلم والكتابة اليدوية للعلم، وميزة هذه الطّريقة بقاء «الرّواية» مكتوبة بعد موت كاتبها، لأنّ الوثيقة المكتوبة لا تموت، وتظل محفوظة بيد النّاس، وتتيح

هذه الوثيقة المادّيّة قراءتها بمجرد الاطلاع على الوثيقة المكتوبة، وهكذا يستمر العلم ويحفظ إمّا بروايته محفوظاً في ذاكرة المتعلّمين والعلماء، ويستطيعون استعادة رواياته عن ظهر قلب أو كتابته باليد في وثيقة مادّيّة (صحيفة ورقية، رقعة جلد أو غيرهما)، وقد قال الإمام الصّادق-عليه السلام-: «**اكتبوا فإنّكم لا تحفظون حتى تكتبوا**» وجاء عنه أيضاً: «**احتفظوا بكتبكم فأنكم سوف تحتاجون إليها**» وقال للمفضل بن عمر: «**اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مِتَّ فأورث كتبك بينك فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم**»(٣)، وهذا التأكيد معناه أنَّ النص المكتوب نشر للعلم والمعرفة التي يؤكّد عليها الإسلام وعلمائه وأئمته، ومنهم الإمام الحسن كما نص على ذلك في الحديثين المتقدّمين.

٢. المواعظ والتّوجيه الإرشادي

وهي التي يسمّيها علماء الأخلاق والإرشاد النّفسي والسّيكولوجيون بالطّريقة الإرشادية لتقويم السّلوك وضبطه وتعديله وتحسينه وتطويره، فهذه الطّريقة تسمح للمرشد في أي موقع له كونه معلّماً، مربّياً، إداريّاً، مسؤولاً جماعيّاً أن يتابع سلوك الأفراد وتقويم أدائهم، وإعطائهم كمسترشدين ما هم بحاجة إليه من مواعظ ونصائح وأفكار إرشادية هادفة؛ لأنها تتيح لهم المعرفة المسبقة بنتائج ما يفعلونه، ويمنحهم القدرة على إدراك نتائج أعمالهم في مواقف السّلوك المختلفة سواء في موقف تعليمي أو أخلاقي أو تعامل اجتماعي أو موقف آخر.

فالمواعظ والنّصائح والأفكار الإرشادية التوجيهية خطوة ضرورية لمعرفة السلوك وضبطه والسّيطرة عليه والتنبؤ بحركته ومساراته المستقبلية والوصول به إلى معايير الصّحّة النّفسية ومحددات النّظرة العبادية الإيمانية التي يتبناها الإمام الحسن بن علي-عليه السلام-في تراثه الأخلاقي والإرشادي القويم الذي يوافق رؤية المشرع الإسلامي.

ويمكن جعل الكثير من النّصوص التّربوية، لاسيما كلماته القصار نماذج أو وثائق إرشادية يختزنها تراثه الفكري والأخلاقي ومواعظه القيمية، وما ذكرناه من نصوص الخطاب التّربوي الحسني في مواضع متفرّقة من هذا المبحث هو في حقيقته جزء من

مواعظه وتراثه الإرشادي التّوجيهي القيم لضبط عملية تعلم السّلوك في مجالات عديدة سواء كان هذا التّعلم في مجال مهاري أو في مجال اجتماعي أو حركة وجدانية.

ومن مواعظه ونصوصه الإرشادية:

«يا ابن آدم: عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً(٤)، إنّه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك، فخذ مما في يديك لم بين يديك، فإنَّ المؤمن يتزوّد، والكافر يتمتّع»(٥).

ومن مواعظه كذلك قوله-عليه السلام-: **«يا ابن آدم ! منْ مثْلُك؟ وقد خلا ربُّك بينه وبينك متى شئت أن تدخل إليه، توضأت وقمت بين يديه، ولم يجعل بينك وبينه حجاباً ولا بوَّاباً، تشكو إليه همومك، وتطلب منه حوائجك، وتستعينه على أمورك»(٦).**

٣. طريقة التّعلم بالأضداد(٧)(٨)(٩).

لعل من أكثر الطّرائق الإسلامية في التّعلم بقسميه الوقائي والعلاجي طريقة العلاج النّفسي بالأضداد، وفكرتها الجوهرية علاج الصّفات بأضدادها، فيعالج البخل كسلوك مذموم بالسّخاء والتسخي، والخوف والجبن بالشّجاعة، واللؤم بالكرم والمروءة، والجهل بالعلم والمعرفة، والسّفه بالحكمة، والكفر بالإيمان، وهكذا يعالج السّلوك غير السّوي بسلوك سوي، وتستبدل الرّذائل بالفضائل، وقد شرحنا هذه الطّريقة بشروطها وعواملها وأنماطها في كتابنا «العلاج النّفسي وتعديل السّلوك الإنساني بطريقة الأضداد»، ومما لاشك فيه أنّ هذه الطّريقة أخذت موقعها في الخطاب التّربوي والإرشادي للإمام السّبط الحسن بن علي، فعلى سبيل المثال قوله-عليه السلام-:

«واعلموا علماً يقيناً، أنّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرَّفه»(١٠).

٤. طريقة توجيه الأسئلة

إثارة الأسئلة وتوجيهها للناس لاسيما العلماء والمعلمين وأصحاب الفكر والبصيرة والحكمة طريقة سائدة في التاريخ التّربوي الإنساني منذ مراحله الأولى، وقد استخدمها لا استثناء كل التّجارب التّربوية.. كبرى وصغرى.. على حدّ سواء، كما أنَّ الأديان السّماوية وكتبها المقدّسة لاسيما القرآن الكريم، بل وجميع المذاهب الدّينيّة الوضعية كانت دائماً تستخدم طريقة طرح السّؤال بأغراض متعدّدة كالبحث عن جديد أو حل معضلة أو إثارة انتباه الفرد ودفعه للتّفكير في حل المشكلات والسّعي للإجابة عن التّساؤلات التي يطرحها العقل البشري، وتمتلئ سجلّاتها الثّقافيّة والرّوحيّة بكثير من الأسئلة في مجالات التّفكير المتعدّدة.

وليست تجربة الإمام الحسن الزّكي -عليه السلام- بدعاً عن الجهود البشرية وتجارب العلماء والمربّين ورجال الفكر والمعرفة، فهو -عليه السلام- ينتمي لإحدى المدارس التربوية الكبرى في التاريخ الإنساني، فقد استخدم طريقة طرح الأسئلة وإثارتها وردّ عليها لحلِّ إشكاليات العقل وما يدور في داخله من غموض، وخضع الإمام بنفسه لتربية تعتمد طريقة الأسئلة لتربية الجانب العقلي من شخصيته الكريمة، وقد وجّه والده إليه في نص تربوي إسلامي جملة من الأسئلة كان غرضها تحديد بعض المفاهيم المعرفية والأخلاقية واختبار قدرة الإمام الحسن -عليه السلام- في الإجابة عليها، بل أنّ بعض الباحثين يجدون في تراثه التّربوي والمعرفي والرّوحي متعة نفسية وعقلية.

وتقول بعض مصادر دراسة السيرة الذاتية للإمام الحسن بن علي أنه -عليه السلام- كان يجلس في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وآله-، ويجتمع الناس حوله، فيتكلم بما يشفي غليل السّائلين، ويقطع حجج القائلين»(١١)، يقول الإمام الحسن الزكي -عليه السلام- في نص قصير عن الأهمية التربوية للسؤال:

«**حسن السؤال نصف العلم**»(١٢).

وقوله كذلك: «**ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة**»(١٣).

٥. مشاورة (الجماعة) والمشاركة الحواريّة الهادفة

دعا الإمام الحسن-عليه السلام- في أحد نصوصه القصار التي تعرّفنا عليها في جملة نصوصه التّعليميّة المنظمة للسلوك الفردي والاجتماعي في حياة الإنسان إلى التّشاور بين الأفراد وأعضاء الجماعات دون تحديد لنمط المشورة أو شكل الاستشارة، حيث قال الإمام الحسن بن علي-عليه السلام- في هذا الشّأن: «**ما تشاور قوم إلاّ هدوا إلى رشدهم**»(١٤).

المكوّنات المعرفية للنص

للنص أعلاه مكونات لفظية ومعرفية يمكن تحديدها في بعض العناصر التي استنبطناها من التركيبة اللفظية والعقلية الداخلية، وهي كما يأتي:

أولاً: المكون اللّفظي:

وهو ما يعرف في علم النّفس التّربوي بـ(القدرة اللفظية) التي هي إحدى القدرات العقلية الكبرى لدى الإنسان، ويبلغ عدد كلمات هذه القدرة كلمات سبع.

ثانياً: المكوِّن المعرفي:

وهو المحتوى الفكري للنّص السّابق، أي مادّته الثّقافيّة التي أراد الإمام الحسن-عليه السلام- تبليغها للناس وترسيخها في عقولهم وممارساتهم اليوميّة، وينطوي هذا المكوّن على عناصر فرعية متّصلة مع بعضها، وهي كما يأتي:

١. وجود جماعة من الناس لم يحدد عدد أفرادها، وقد جاء النّص بلفظ الحسني «قوم»، وهو تعبير قرآني أصيل عن جماعة متفاعلة، تؤثّر في غيرها وتتأثر بهم.

٢. والعنصر الفرعي الثّاني للمكوّن المعرفي هو (الدور) الذي تقوم به الجماعة المعبر عنها بلفظ (القوم) كما جاء في نص الإمام الحسن-عليه السلام-، وهو الفعل أو النّشاط المتداول بين الجماعة في زمن محدّد وفي مكان معيَّن.

٣. المادة الثّقافيّة للمشورة: (أو المشورة ذاتها)، وتشمل الأفكار والطّريقة التّعبيريّة وآلية التّداول، وهي عبارة عن موضوع المشورة ومحتواها وآليّة تداول أفكار محدّدة بين جماعة معيّنة أو قوم الناس حول موضوع معيَّن.

ثالثاً: المكوّن السّلوكي أو التّنفيذي:

وهو تنفيذ القرار الذي اتخذته الجماعة بعد تشاورها في موضوع معين، وهو كما ينبئ النّص التّربوي الحسني ((قرار رشيد)) ومسؤُول توصل إليه قوم أو نفر من الناس تحت ضمانة الحوار الجماعي، وهذا القرار تتّخذه الجماعة نتيجة تداول جماعي بين المتشاورين في موضوع تمّت مناقشته، وانتهوا إلى اتخاذ قرار وصفه الإمام الحسن بالرشد، ولم يحدد- عليه السلام- الشّكل النّهائي للقرار الذي عبّر عنه محتوى النّص بمقطع لغوي واضح المعنى، وهو مكوّن من كلمات أربع تصفه بالقرار الرّشيد والهداية، جاء المقطع: «إلاّ هدوا إلى رشدهم».

٦. طريقة الصّحبة والمصاحبة

يتحدّث علماء الاجتماع والمشتغلون بالدّراسات النّفسيّة عن الدّور التّربوي للصحبة وتأثيرها في حياة الأفراد والجماعات، كما أنّ نصوصاً كثيرة من نصوص المشرّع التّربوي الإسلامي أوضحت التّأثير الحضاري والاجتماعي والشّخصي للصحبة، وصداقة الأفراد لبعضهم، فالمصاحبة وفاقاً للنّصوص التّربوية الشّرعية ودراسات العلماء بيئة تربوية واجتماعية تسهم في تنشئة الأفراد والتّطبيع الاجتماعي لشخصياتهم في مراحل مختلفة من أعمارهم، وتحدد الصّحبة نوع التأثير السائد بين الأصحاب، فإنْ كانت الصّحبة ذات طابع إيجابي انعكس ذلك على العلاقة بينهم، وإذا غلب على الصّحبة طابع سلبي سادت بين الأصدقاء علاقة سيّئة.

وأشار الإمام الحسن بن علي-عليهما السلام- كقائد للمسلمين وإمام روحي وموجه أخلاقي في عدد من نصوصه وكلماته إلى الأهمّيّة التّربوية للصّحبة والمصاحبة بين النّاس في مواقف الحياة الاجتماعية المتعدّدة.

ومن هذه النّصوص:

قال-عليه السلام-: «**صاحب النّاس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به**»(١٥).

وقال: «**صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلاً**»(١٦).

وفي نص آخر قال-عليه السلام-: «**يا ابن آدم: عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض**

بما قسم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب النّاس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً، إنّه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإنَّ المؤمن يتزوّد، والكافر يتمتّع»(١٧).

دخل جنادة بن أبي أميّة على الإمام الحسن بن علي -عليهما السلام- بعد أن تجرّع السّم من الظّالمين فطلب منه جنادة أن يَعِظه في هذا الموقف الصّعب، فقال له في نص مطوَّل إلى حدّ ما، ونقتطع منه نصّاً قصيراً هو المراد هنا في حديثنا: «**اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عزَّ وجل، وإذا نازعتك إلى صحبة الرّجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا أخذت منه صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإنْ قلت صدق قولك، وإنْ صِلْت شدَّ صولتك، وإنْ مددت يدك بفضل مدَّها، وإنْ بدت منك ثلمة سدَّها، وإنْ رأى منك حسنة عدَّها، وإنْ سألته أعطاك، وإنْ سكت عنه ابتدأك، وإنْ نزلت بك إحدى الملمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطّرائق، ولا يخذلك عند الحقائق وإنْ تنازعتما منقسماً آثرك**»(١٨).

٧- التّفكير والتّفكّر

يُعدّ التّفكير من أظهر أساليب التّعليم وتنمية القدرات العقليّة، وثمّة علاقة كبيرة بينهما.

٨- الطّريقة الإلقائية.

المحاضرة كما يعرفها رجال التّربية شكل من أشكال الإلقاء اللفظي المباشر أو غير المباشر وهو أسلوب تعليمي قديم عرفته المجالس التّربوية في كلِّ مكان، وظل شائعاً في أزمنة متعاقبة، وبالرّغم من اتجاه المربّين المحدثين نحو الاستعانة بطرق تجعل «المتعلم» أكثر فعالية، فما يزال الإلقاء، متداولاً حتى عصرنا، وما يزال أسلوباً يستخدمه كلُّ معلم وقت الحاجة، وهذه الطّريقة التّعليمية المتجذّرة في التاريخ التّربوي الإنساني لم تستطع الاستغناء عنها أيّة مؤسسة تعليمية، بل أنّ طرق التّدريس نفسها لا تخلو في

قليل أو كثير من الإلقاء، ويقوم على عاتق المعلم أو المحاضر أو الملقي عبء «الجهد» والفعالية التّعليمية من إعداد الدّرس، وتجميع المعلومات، وتقديمها للسّامعين بالشّرح والإيضاح وإثارة دافعية التعلم عند التّلاميذ وترغيبهم، مع مراعاة سهولة «الإلقاء» وحسن معاملة التّلاميذ، فالمحاضرة تبدأ من عقل المعلم وتصب نتائجها في عقل المتعلم، وفي هذا الشأن يقول أحد الباحثين: «وتعتمد طريقة المحاضرات والإلقاء على أسلوب عرض الحقائق والمفاهيم، وتوضيحها وتفسيرها، وتقوم على شرح المعلومات وتبسيطها ليسهل على التلاميذ استيعابها، ويتوسل المعلم بها في درسه للتأثير على شعور التلاميذ، وإثارة عواطفهم، وحفزهم على العمل والنّشاط »(١٩).

ولتعليم المسلمين بدأ الأئمة المعصومون ومنهم الإمام الحسن تثقيفهم بالمعرفة الإسلامية، فقد بدأ الإمام-عليه السلام- حلقة من البحث والدّرس في مسجد رسول الله-صلى الله عليه وآله- يُحدِّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطّاهرين-عليهم السلام-، وكان الأسلوب التّعليمي المتبع في المحاضرة ما يتخللها بين حين وآخر من إثارة الأسئلة والأجوبة، أو « أسلوب الاستماع» بالتّعبير التّربوي الإسلامي.

وينقل العلامة الأربلي عن الشيخ كمال الدين بن طلحة قوله أن الإمام الحسن-عليه السلام-: «كان يجلس في مسجد رسول الله-صلى الله عليه وآله-، ويجتمع الناس حوله، فيتكلم بما يشفي غليل السّائلين، ويقطع حجج القائلين»(٢٠).

٩ - طريقة الدّعاء

تتفرد الأديان المنزلة بأسلوب الدّعاء على مدار تاريخها، وانعكس هذا الامتداد على عمق الإنسان المتديّن، وأصبح الدّعاء أحد المصادر الإسلامية للمعرفة لديه، فلا يتعلم بواسطة الدّعاء سوى الإنسان المتديّن الذي يؤمن بالله ويناجيه ـ سرّاً وعلناً ـ ويطلب منه، وهو حركة صاعدة من الإنسان وهابطة منه سبحانه وتعالى.

إنَّ الدّعاء في حقيقته علاقة روحيّة بين الإنسان يناجي ربه، ويتّجه إليه بنيّة خالصة في هذه الخلوة ليكاشفه بمعاناته، مع أنّ الإنسان المتديّن الدّاعي يقر في نفسه بأنّ ما

يخفيه ليس سراً على الله -تعالى-، فكلُّ ما يطويه من أفكار ومشاعر ونوايا تحت «علم» الله -عزَّ وجلَّ-، وبالرّغم من تفرد «الدّعاء» بطابعه الرّوحي وتعدّد مزاياه المرتبطة بهذا الطّابع، إلا أنّ ما يطويه من مفاهيم وحقائق وآراء ومعانٍ سامية جعل «للدعاء» طابعاً تعليمياً مؤثراً في العقل المسلم، وموجّهاً لسلوكه في عالمه الدّنيوي، فلهذا ارتبطت مكوّنات النّسيج الثّقافي للمسلم بالدّعاء وبمعانيه، وقيمه، وأصبحت «مادّته المعرفيّة» مصدراً أساسيّاً في تكوين هذا النّسيج والمحافظة عليه.

ويمكننا التعرف ـ في عجالة ـ على بعض جوانب الوظيفة التّعليمية للدعاء:

أولاً: يوجّه الدّعاء قلب الإنسان وعقله ـ بخاصة المسلم ـ نحو عمليّة التّعلم، ويرغبه في طلب المعرفة حتى إتقانها.

ثانياً: يعد الدّعاء أسلوباً تعليمياً (إلقائياً)؛ لأنّ الإنسان المسلم يقوم بدور مزدوج يمكننا تصنيفه ـ في نهاية الأمر ـ في قائمة الأساليب التّعليميّة الإلقائية، إنّ «الإنسان» المسلم يقرأ الدّعاء كنص، فيسمعه شخصيّاً أو يتلقاه مسموعاً من غيره إذا كان «نص الدعاء» مقروءاً من الآخرين، وسواء كان النّص مقروءاً من «الدّاعي» أو من غيره، فإنّ طبيعة هذا الجهد التّعليمي إلقائي، لأنّ الداعي «يقرأ» والمستمع «يتلقّى» ومن ثمَّ لا مجال فيه لمناقشة لحظة ممارسة الدعاء ولا تثار فيه أسئلة وإجابة إلا إذا جعل المسلم الدعاء درساً يتناوله مع الآخرين بالشّرح والتّحليل والحوار وتبادل الأفكار، لكنه يتيح للباحثين باستخدام الطّريقة التّحليليّة في فهم مضامين نص الدّعاء المدروس ... »(٢١).

ثالثاً: يعد الدّعاء ـ بطابعه التّعليمي ـ أسلوباً واقعياً اعتمده المشرّع الإسلامي لتنمية القدرات العقلية عند الأفراد، ونكاد نجد في نص «الدّعاء» تعدّداً وتنوّعاً في القدرات التي ينميها المربّي المسلم بواسطة هذا الأسلوب، فالدّعاء:

أ- يعد «نصّاً» للحفظ وغالباً ما يميل المسلم إلى حفظ نصوص من الأدعية لترديدها في مواقف العبادة أو التعلم أو مواقف تقوية ذاكرته بالمعاني التّربوية التي حواها النّص التّربوي الحسني أو غيره من أئمتنا الأطهار.

ب- لا يقف العقل المسلم عند حدود الاستظهار أو «الحفظ الأصم» أو التّذكّر الآلي

الذي يخلو من الفهم، بل يحاول فهم محتوى «نصوص الأدعية» والتّفاعل مع معانيها، وقد يتعدّاه إلى ممارسة عمليّة تحليل هذه النّصوص وفهم مضامينها واستثمارها كمعرفة ضابطة للسلوك، وقد يترتب عن عملية التّحليل نمو قدرات الفرد على الربط بين فقرات النّص، ونمو قدرة الاستنتاج، والمقارنة، والنّقد، والتّطبيق، وإصدار الأحكام.

ج- ينمي الدّعاء أيضاً أساليب التّعبير العربي ويصقل القدرات اللغوية للفرد، ويموِّنه بثروة كبيرة من مفردات اللغة وألفاظها، وذلك لأنّ الدّعاء ـ بخاصة ما صاغه الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- وأئمة أهل البيت-عليهم السلام- ـ يمتاز بأعلى أساليب البيان العربي، وهذا يؤدّي بالتّأكيد إلى تنمية هادفة لقدرات الفرد على الفهم اللغوي، وتدريبه على الطّلاقة اللّفظية، فالعقل المسلم بعد ممارسته للدّعاء ـ كتجربة وجدانيَّة حيَّة ـ يتقمّص هذه الثّروة الهائلة من مفردات اللغة، ويتمثلها في أحاديثه، ومواقفه الحواريّة.

رابعاً: يوفر الدّعاء للعقل الإنساني فرصة التّفكير والتّأمّل العقلي في مجال العقائد وقضاياها، وبيان أصولها، كالتّوحيد، ومعرفة صفات الله(٢٢)، والنّبوة، والمعاد، قال الإمام الحسن بن علي في دعاء: «**اللهم سبحانك يا قيُّوم، سبحان الحي الذي لا يموت**»(٢٣)، ودعاؤه في موضع آخر: «**يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، وبعونه يعتصم المكلوم سبقت مشيَّتك، وتمّت كلمتك، وأنت على كل شيء قدير، وبما تُمْضِه خبير، يا حاضر كل غيب، وعالم كل سر، وملجأ كل مضطر، ضلت فيك الفهوم، وتقطعت دونك العلوم، أنت الله الحي القيُّوم، الدّائم الديموم، قد ترى ما أنت به عليم، وفيه حكيم، وعنه حليم**».

خامساً: يقدّم الدّعاء معرفة تحليليّة مستفيضة للنّفس الإنسانية ودراسة حالاتها المتعدّدة سواء في حالتها السّوية، أو في حالتها غير السّوية، ويحدّد طرق تشخيص أمراضها وسبل معالجتها، ويرشد العقل المسلم بالأساليب الصّحيحة التي تعينه على مواجهة المشكلات النّفسيّة وأمراض السّلوك الأخلاقي، ويمدّه بمعرفة «القيم» السّويّة وتهذيب الأخلاق. والتّمييز بين سمات السّلوك السوي، وسمات السّلوك العصابي، وذلك من خلال إمداد المسلم بمفاهيم عباديّة في حقل الصّحة النّفسيّة، وتأصيل مبادئها المستمدة

من الأدعية في عقل الإنسان المسلم(٢٤)، وهكذا يركّز الدّعاء على المعرفة الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة كثقافة سيكولوجية، ومرجعية للسلوك العبادي، فالدّعاء منهج إرشادي يستعمل التّكرار، ومعالجة السّلوك بأضداده، وإثارة العاطفة، والتّنفير من الرّذيلة، والتّرغيب في الفضيلة، ويستعمل أسلوب الوقاية والمعالجة في تربية الشّخصية العبادية وتعديل سلوكها.

١٠- أسلوب الخطابة

الخطابة أسلوب تقليدي مألوف في الحياة العربية قبل الإسلام ثم عززه بنصوصه القرآنية والنّبويّة، وما يزال نمطاً ثقافيّاً مقبولاً حتى زماننا، وعَدّه المشرع طريقة تعليمية سمعية، وهي بالنسبة للمربي المسلم ـ آنذاك ـ أشبه بوسيلة إعلامية؛ لأنّ العرب كانوا يملكون آنذاك ناصية اللغة، ومتمكّنين من مفرداتها تمكّناً متقناً، لهذا تابعوا استخدام هذا الأسلوب من عصر النّبوة حتى عصور مختلفة، وكان الرّسول -صلى الله عليه وآله- يحث على استعمال جيد لطريقة الخطابة ويأمر بقصر الخطبة، وهدفيتها وتعلم الموعظة منها، «وكان النبي -صلى الله عليه وآله- يخطب كلمات يسيرات، ويركّز على هدفها التّعليمي»(٢٥).

وهذا الأسلوب من أساليب الإلقاء الواضحة التي يكون المستمع متلقّياً في أغلب الأحيان، وقد يسأل ويسمع الرّد لكن لا يتحوّل السّؤال إلى حوار - إلا نادراً، ويمكن في ضوء طبيعة فن الخطابة الشّائع في ثقافتنا أنْ نصنف هذا الفن التّعليمي الجماهيري ضمن مجموعة الأساليب الإلقائية؛ لأنّ الخطيب عادة يكون متكلّماً وملقياً بينما المتعلّم مستمعاً ومتلقّياً للخطاب اللفظي المنطوق، فالمكاتبة إذا كانت رسائل مكتوبة، تكون الخطبة رسالة شفويّة منطوقة يتلقّاها المرء من متكلم ثم يبث مضمونها بلفظ شفوي أو يتداولها النّاس عن طريق السّماع والنّقل اللّفظي، وقد تكتب فتحفظ وتؤدّي وظيفتها التّربوية في أجيال تالية، وحقّقت الخطابة فعالية كبيرة في الحياة العربية الإسلامية، وما تزال مادّتها ذات جاذبية تربوية مؤثّرة لاسيما إذا التزمت ببعدها العبادي.

١١- أسلوب المراسلة أو المكاتبة

هذا الأسلوب قديم وشائع في حياة النّاس قبل مجيء الدّين الإسلامي، وأقرّه المشرع التّربوي الإسلامي كما نجد مثلاً في النّص القرآني الذي تحدّث عن مراسلة لفظية مكتوبة بين سيدنا سليمان والسيدة بلقيس ملكة سبأ، كما أقرّه الرّسول الكريم واستفاد منه في الدّعوة والتّبليغ والتّوجيه السّياسي والتّعليم أيضاً، حيث بعث -صلوات الله عليه -رسائله إلى عدد من الملوك والأمراء يدعوهم للدخول في الدّين الجديد، ثم استعمله مع ولاته في نطاق تدبير شُؤون الدّولة، وفي توجيه حركتها وضبطها.

قال الإمام الصّادق -عليه السلام-: «**اكتبوا فإنّكم لا تحفظون حتى تكتبوا**» وجاء عنه: «**احتفظوا بكتبكم فأنكم سوف تحتاجون إليها**» وقال للمفضل بن عمر: «**اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مِتَّ فأورث كتبك بينك فإنّه يأتي على النّاس زمان هرج لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم**»(٢٦)، وهذا التّأكيد معناه أنَّ المكاتبة أو «المراسلة» المكتوبة نشر للعلم والمعرفة التي يؤكّد عليها المشرع، ولهذا استجاب لها الوسط التّربوي المسلم لفعالية هذه الطّريقة ونشرها العلماء والمربون المسلمون في بث المعرفة وحل المشكلات.

فالرّسالة المكتوبة تحمل في الحقيقة مادة تبدأ من فكرة أو رأي أو سؤال أو لفت نظر إلى مشكلة وتنتهي بجواب، وإذا لم تتكرر المراسلة حول المشكلة ذاتها، وأصبح جواب «المجيب» مقنعاً صنفت المراسلة ضمن أساليب الإلقاء غير المباشر، بيد أنه يحتمل أن تتحول «المراسلة» إلى محاورة غير مباشرة توضح فعالية السّائل والمجيب في حلِّ مشكلة علمية وتكشف عن مستوى «المادة التّعليمية» التي تضمنتها المكاتبة، ومع ذلك فهي - في الأغلب - أقرب إلى طرق الإلقاء؛ لأنّ السّائل يظل متلقياً يبعث «بسؤاله» وينتظر جواباً عنه.

وفي الباب الثاني من كتاب «الروائع المختارة» جمع أحد العلماء اثنا عشر نصّاً من مراسلات ومكاتبات الإمام الحسن-عليه السلام-، وكانت متعدّدة الموضوعات، منها مراسلة مع بعض أصحابه يعزيه بموت ابنته، ومراسلات أخرى مع معاوية وابن زياد وعمرو بن العاص في قضايا سياسية وردود على افتراءاتهم، وكتابه في الصّلح مع

معاوية بن أبي سفيان، وأهم ما يعنينا في الجانب التّعليمي من رسائله وكتبه رسالته إلى العالم الجليل الحسن البصري ردّاً على سؤال في موضوع الحرّيّة الإنسانية والقضاء والقدر(٢٧)، التي عرضها الموسوي في كتابه «الروائع المختارة»(٢٨) تحت رقم (٨). وسنعرض نص رسالته للبصري كاملة في هذا المبحث بعد قليل، وإشارات مضمونها الإرشادي في ضبط السّلوك التّعليمي لدى الأفراد.

الهوامش:

١- الروائع المختارة/ ص ١٣١.

٢- الشيرازي/ كلمة الإمام الحسن/ ص ٦٨.

٣- القزويني/ الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية/ ص ٢٢٥-٢٢٦.

٤- ذكر العلامة المحقق الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي كلمة « عدلاً » بدلاً مما جاء في هذا النص من قوله: «تكن عادلاً » انظر كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة ج٢/ ص ١٩٩.

٥- الأربلي/ كشف الغمة في معرفة الأئمة/ ج٢/ ص ١٩٨ - ١٩٩؛ وكتاب كلمة الإمام الحسن/ ص ٤٥.

٦- الشيرازي/ كلمة الإمام الحسن-عليه السلام-/ ص ٢٤٦.

٧- كلمة الحسن-عليه السلام-/ ص ١٩٩؛ والروائع المختارة/ ص ١٣٥.

٨- الروائع المختارة/ ص ١٣٤

٩- كلمة الحسن-عليه السلام-/ ص ٢٤٢ .

١٠- المصدر نفسه-/ ص ٤٦.

١١- الأربلي/ كشف الغمة في معرفة الأئمة/ ج٢/ ص ١٦٩.

١٢- كلمة الإمام الحسن/ ص ٦٨

١٣- الروائع المختارة/ ص ١٤٢.

١٤- ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول-صلى الله عليه واله-، ص ١٦٨،

وكتاب الروائع المختارة لمصطفى الموسوي/ ص ١٢٦

١٥- الشيرازي/ كلمة الإمام الحسن-عليه السلام-/ ص ٢٤٢؛ والموسوي في كتابه الروائع المختارة/ ص ١٣٩.

١٦- الأربلي/ كشف الغمة في معرفة الأئمة/ ج٢/ ص ١٩٩.

١٧- الشيرازي/كلمة الحسن-عليه السلام-/ص ٤٥؛ وكتاب الروائع المختارة للموسوي ص ١٩.

١٨- الشيرازي/ كلمة الإمام الحسن-عليه السلام-/ ص ٥٢.

١٩- د.حسن عبد العال / فن التعليم عند ابن جماعة/ ص ٢٠٦.

٢٠- الأربلي / كشف الغمة في معرفة الأئمة/ ج٢ ص ١٦٩

٢١- ينظر كتابنا «بنـاء الشخصية في خطاب الإمام المهدي»

٢٢- أنظر على سبيل المثال ما جاء في دعاء يوم عرفة في الصحيفة السجادية.

٢٣- كلمة الحسن/ ص ٢١٧

٢٤- عز الدين الجزائري / شرح الصحيفة السجادية/ ص ٢٣.

٢٥- انظر ميزان الحكمة/ ج٣/ ص ٤٩.

٢٦- القزويني/ الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية/ ص ٢٢٥-٢٢٦.

٢٧- ابن شعبة الحراني/ تحف العقول/ ص ١٦٦.

٢٨- الموسوي/ الروائع المختارة/ ص ١١٨.

السلام على صاحب القبر المهدوم

الإمام المجتبى عليه السلام

ذكرى ميلاد كريم أهل بيت النبوة

الرضا عليه السلام

قراءات في وادي السّنا

الشّيخ نزار سنبل

صدى المجتبى عليه السلام ١٤٣٦هـ
صدى المجتبى ١٠٣

قراءات في وادي السّنا

الشّيخ نزار سنبل

قــرأتُ حبّك منقوشاً على اُفقٍ ... تضجّ فيه دمــوعُ الــورد والشّفقِ
قــرأت فيــه حيــاتي كــلّ دائــرتي ... ففي الــفــؤاد حكايا آخــر الرّمــقِ
وخــاطبــتْ لغتي أقــلامَ محبرتي ... هوى المحبّين حرفٌ من دم الحَدَقِ
تذوب كلّ لغات الزّهر حين هوت ... على يديه طيور العشق فاحترقي
قــرأتُ فــجرك يــا أحــلام قافيتي ... فــأُلهبت في دمــي أثــوابُــه الخضُرِ
وكــان يــشرق مــلء الأرض هالتُه ... يــضيء يبسم لــكــنّ المــدى جَمُــرِ
يــسلّ مــن وجــع الــعــشّاق إبــرتــه ... فتنطفي الــرّوح والأحــلام والكِبَرِ
ومــا تــعــوّد أو ألــقــاه مُــنــكــسراً ... حــتــى تــكــسَّر في شطآنه البحرِ
قــرأتُ ليلك مــشدوهــاً عــلى سفرٍ ... تئنُّ فيه حكايا الــدّمــع والسهرِ

رأيتُ روحاً تمدّ الكون سابحةً ... تشدّ خيط شعاع الشّمس بالقمر
رأيتُ ظلاً شفافيّ الرؤى ألِقاً ... يرشّ أفنيةَ الأيام بالزّهر
رأيتُ شيئاً وما أدركتُ صورته ... وحسبُ روحي أن تفنى على قَدَر
قرأتُ عصرك أصناماً مُحنّطةً ... وسُجّداً حولها تبكي بلا أملِ
تعثّرت في كهوف الليل وانطفأت ... حتى الشّموع التي ترنو على خجل
وكنتَ تلمح خلف الغيب قاحلة ... تذيب كل معاني الوحي والمُثل
وكانت الفأس في كفّيك غاضبةً ... فحطّمتْ كلّ مجد صيغ بالحيل
وإن سعيت إلى الجّلى بلا وجل ... فإنَّ رُوحك من روح الإمام علي
قرأتُ كلّ دوالي الورد بوحَ مُنى ... وصرتُ أقطفُ من ثدي النّخيل جَنى
وصغت من ولهي أُنشودة رُسِمَتْ ... على دروب الحيارى التّائهين سَنا
وناغمت بسماتُ الطير ساقيتي ... فرفَّ من حُلُم الواحات ما سَكنا
وما تحيّرت في حسن أبادله ... حلو الأحاديثَ إلاّ الوحي والحَسَنا

زِيارةُ الإمام الحَسَنِ المجتبى عليه السلام

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ رَبِّ الْعالَمِينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيبَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صَفْوَةَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَمِينَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صِراطَ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بَيانَ حُكْمِ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ناصِرَ دِينِ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا السَّيِّدُ الزَّكِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْبَرُّ الْوَفِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْقائِمُ الاَمِينُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعالِمُ بِالتَّأْوِيلِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْهادِي الْمَهْدِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الطّاهِرُ الزَّكِيُّ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ السَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْحَقُّ الْحَقِيقُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الشَّهِيدُ الصِّدّيقُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَبا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ .

زيارَة ائمَّة البَقيع -عَليهم السَّلام-

أي الإمام الحسن المجتبى، والإمام زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصّادق -عليهم السلام-.

اذا أردت زيارتهم فاعمل بما سبق من آداب الزّيارة من الغُسل والكون على الطّهارة، ولبس الثّياب الطّاهرة النّظيفة والتّطيّب والاستئذان للدّخول ونحو ذلك وقُل أيضاً:

يا مَوالِيَّ يا اَبْناءَ رَسُولِ اللهِ، عَبْدُكُمْ وَابْنُ اَمَتِكُمُ الذَّلِيلُ بَيْنَ اَيْدِيكُمْ، وَالْمُضْعِفُ فِي عُلُوِّ قَدْرِكُمْ، وَالْمُعْتَرِفُ بِحَقِّكُمْ، جاءَكُمْ مُسْتَجِيراً بِكُمْ، قاصِداً اِلى حَرَمِكُمْ، مُتَقَرِّباً اِلى مَقامِكُمْ، مُتَوَسِّلاً اِلَى اللهِ تَعالى بِكُمْ، أَدْخُلُ يا مَوالِيَّ، أَدْخُلُ يا اَوْلِياءَ اللهِ، أَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ الْمُحْدِقِينَ بِهذَا الْحَرَمِ الْمُقِيمِينَ بِهذَا الْمَشْهَدِ .

وادخل بعد الخشوع والخضوع ورقّة القلب وقدّم رجلك اليمنى وقُل:

اَللهُ اَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيراً، وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وَاَصِيلاً، وَالْحَمْدُ لِلهِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ

الْماجِدِ الاَحَدِ الْمُتَفَضِّلِ الْمَنّانِ، الْمُتَطَوِّلِ الْحَنّانِ الَّذي مَنَّ بِطَوْلِهِ، وَسَهَّلَ زِيارَةَ ساداتي بِاحْسانِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْني عَنْ زِيارَتِهِمْ مَمْنُوعاً بَلْ تَطَوَّلَ وَمَنَحَ .

ثمّ اقترب من قبُورهم المقدّسة واستقبلها واستدبر القبلة وَقُل:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ ائِمَّةَ الْهُدى، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ التَّقْوى، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَيُّهَا الْحُجَجُ على اَهْلِ الدُّنْيا، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَيُّهَا الْقُوّامُ في الْبَرِيَّةِ بِالْقِسْطِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الصَّفْوَةِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ آلَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ النَّجْوى، اَشْهَدُ اَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ في ذاتِ اللهِ، وَكُذِّبْتُمْ وَاُسِيءَ اِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ، وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، وَاَنَّ طاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَاَنَّ قَوْلَكُمُ الصِّدْقُ، وَاَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجابُوا، وَاَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطاعُوا، وَاَنَّكُمْ دَعائِمُ الدّينِ وَاَرْكانُ الاَرْضِ، لَمْ تَزالُوا بِعَيْنِ اللهِ يَنْسَخُكُمْ مِنْ اَصْلابِ كُلِّ مُطَّهَرٍ، وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ اَرْحامِ الْمُطَهَّراتِ، لَمْ تُدَنِّسْكُمُ الْجاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، وَلَمْ تَشْرَكْ فيكُمْ فِتَنُ الاَهْواءِ، طِبْتُمْ وَطابَ مَنْبَتُكُمْ، مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنا دَيّانُ الدّينِ، فَجَعَلَكُمْ في بُيُوتٍ اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلاتَنا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنا وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا، اِذِ اخْتارَكُمُ اللهُ لَنا، وَطَيَّبَ خَلْقَنا بِما مَنَّ عَلَيْنا مِنْ وِلايَتِكُمْ، وَكُنّا عِنْدَهُ مُسَمِّينَ بِعِلْمِكُمْ، مُعْتَرِفينَ بِتَصْديقِنا اِيّاكُمْ، وَهذا مَقامُ مَنْ اَسْرَفَ وَاَخْطَأَ وَاسْتَكانَ وَاَقَرَّ بِما جَنى وَرَجا بِمَقامِهِ الْخَلاصَ، وَاَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقَذُ الْهَلْكى مِنَ الرَّدى، فَكُونُوا لي شُفَعاءَ، فَقَدْ وَفَدْتُ اِلَيْكُمْ اِذْ رَغِبَ عَنْكُمْ اَهْلُ الدُّنْيا، وَاتَّخَذُوا آياتِ اللهِ هُزُواً وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها (ثم ارفع رأسك الى السماء وقل) : يا مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، وَدائِمٌ لا يَلْهُو، وَمُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَكَ الْمَنُّ بِما وَفَّقْتَني وَعَرَّفْتَني بِما اَقَمْتَني عَلَيْهِ، اِذْ صَدَّ عَنْهُ عِبادُكَ، وَجَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ، وَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّهِ، وَمالُوا اِلى سِواهُ، فَكانَتِ الْمَنَّةُ مِنْكَ عَلَيَّ مَعَ اَقْوامٍ خَصَصْتَهُمْ بِما خَصَصْتَني بِهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ اِذْ كُنْتُ عِنْدَكَ في مَقامي هذا مَذْكُوراً مَكْتُوباً، فَلا تَحْرِمْني ما رَجَوْتُ، وَلا تُخَيِّبْني فيما دَعَوْتُ، بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ .

ثمّ ادعُ لنفسك بما تُريد، وقال الطّوسي رحمه الله في التّهذيب: ثمّ صلّ صلاة الزّيارة ثمان ركعات أي صلّ لكلّ إمام ركعتين.

السلام علیک یا

عید سعید